جامعة ابن طفيل

كلية اللغات والفنون
القنيطرة

مسلك اللغة العربية وآدابها السداسي الأول

تاريخ الحضارة الإسلامية

ذ: حميد أجميلي

موسم 2020-2021

محاضرة رقم 1: الحضارة الإسلامية مقدمات عامة وتحديد مفاهيمي (الحضارة والمدنية والثقافة)

تكمن أهمية الحضارة العربية الإسلامية في كونها جاءت على انقاض حضارات سابقة، محاولة الاستفادة من معطيات عامل السماء والأرض، خصوصا وأنها كانت تتمتع بحمولة روحية دينية سماوية اهلتها لكي تحقق أهدافها على كافة الاصعدة في ظرف زمني قصير وفي رقعة جغرافية واسعة خصوصا مع عهد الدولتين الاموية والعباسية حيث عرفت الدولة الاسلامية أقصى امتداد لها، حيث اعتنق الإسلام عناصر بشرية واثنية مختلفة عربية وفارسية وكردية ورومية وأمازيغية من آسيا وافريقيا ثم في أوربا، مما أعطى لهذه الحضارة فرصة للإبداع والتطور في كافة المجالات والحقول المعرفية والعمرانية والإدارية وغيرها من المجالات التي برع فيها المسلمون. ويبدو ان ثم تساؤلات تطرح أولا عن مفهوم الحضارة والثقافة والمدنية والتي هي في الأصل ضمن الحضارة، لكن لابد من توضيح هذه المفاهيم حتى نتمكن من إزالة اللبس حتى نتمكن من استيعاب مفهوم الحضارة العربية الإسلامية التي هي موضوع هذه الوحدة المعرفية لسلك اللغة العربية الفصل الأول إذن ما هو تعريف الحضارة؟ وما نقصد بالثقافة؟ وما معنى المدنية؟ وما هو التعريف الأنسب للحضارة العربية الإسلامية في ظل اختلاف وجهات النظر حول وضع هذا المفهوم؟ وما هي بعض المصادر والمراجع التي يمكن الاستعانة بها في فهم بعض القضايا المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية

تكتسي حلحلة إشكالية مفهوم الحضارة العربية الإسلامية ذلك أن ثمة نقاش كبير حصل ولازال حول مصطلح الحضارة ومصطلح المدنية ومصطلح الثقافة.

مفهوم الحضارة والثّقافة والمدنيّة:

اختلفَ الدارسون حول تحديد مفهوم واضح لكلٍّ من الثّقافة، والمدنيّة، والحضارة،

الحضارة: فالحضارة في اللغة: هي الإقامة في الحضر والحضر هم من يقيمون في المدن، وكلمة حضر هي عكس كلمة البداوة وفي الاصطلاح الحضارة هي عدد من المظاهر والأشكال التي من خلالها تبرز الدول والأمم والشعوب عن ثقافاتها وانجازاتها المادية والحضارة في أصلها يجب أن تكون شاملة لكل من الثقافة والمدنية وتطمح إلى توريثها للأجيال القادمة. فالرابط القوي بين الثقافة والمدنية هي التي تعطي قوة للحضارة وأي خلل يعتري أحد الجانبين يكون مؤشرا على بداية الانهيار الحضاري لأمة من الأمم. ويذهب دارس أخر إلى القول أن الحضارة تعني انجازات الإنسان المادية والفكرية والروحية عبر الزمان والمكان، من خلال الصراع المحتدم بين الطبيعة والانسان. وقد امتد هذا الصراع من خلال الوسائل التي اكتشفها الانسان حتى تمكن من تسخير الطبيعة لصالحة إذ بالعلم يمكن الاستفادة من الطبيعة والاستفادة من امكانياتها ، ومن ثم فإن المعرفة هي أساس الحضارة وبقدر تحصيل الانسان للمعارف بقدر إثراء البناء الحضاري وازدهاره. وقد تحدث ابن خلدون في مقدمته على حقيقة الحضارة عندما ميز بين النمط البدائي والنمط المدني وهو ما اطلق عليه اسم العمران البشري الذي يختلف من مجتمع الوبر إلى مجتمع المدر . ويعني ابن خلدون بالعمران المزدهر احتراف الصناعة والتجارة وهي ما يجعل مجتمعاتها تتسم بالتعقيد . عقد المجتمعات الفلاحية التي تتميز بالبساطة.

والثقافة: هي جزء من الحضارة وتعني الجوانب العقلية والوجدانية في المرتبة الأولى وفي المفهوم البدائي ما قبل التاريخ فمفهوم الثقافة يتسع ليشمل مجموعة المعارف الأولية التي تخص الجوانب المادية وغير المادية.

والمدنية : هي كل الانجازات المادية التي انجزتها أمة من الأمم سواء تعلق الأمر بالجانب المعماري والهندسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والإداري وغيرها من المرافق الحيوية. مفهوم المَدنيّة المدنيّة هي الجزء المادّي من أيّ حضارة، كالعمران، والترفيه، ووسائل الاتصال، وقد ظهرت المدنيّة نتيجة التفاعُل الحاصل بين العلوم وتطبيقاتها من ناحية، وما أنتجته الأمّة من ناحية أخرى؛ وهذا ما جعلها تَرتبِطُ بالمجالين: الاقتصاديّ والصّناعيّ، ويَرى البعض أنَّ المدنيّة مُرادِفة للحضارة؛ فهم يَرون أنَّها تحملُ الجانب المادّي والمعنويّ للحضارة، كما أنّهم يَعتبرونَها جملة الرقيّ في الصناعة والزراعة في المُجتمَع إنَّ المَدنيّة جزءٌ من الحضارة، وهي لا تحتاج إلى شَرْح مُفصَّل في معناها كما في الحضارة والثقافة.

الحضارة العربية الإسلامية:

وإذا انتقلنا إلى الحضارة العربية الإسلامية فالنقاش لابد أن يحتدم بين الدارسين بسبب تعدد الرؤى والاجتهادات وهي انعكاس لاختلاف التصورات المنطلقات. فالحضارة تعني إنجازات الإنسان المادية والفكرية والروحية. فإذا حاولنا تسليط الضوء على مصطلح الحضارة العربية الإسلامية فنجد أن ثمة خلافا حصل على مستوى وضع المصطلحات، فهناك من اقتصر على الحضارة الاسلامية واغفل العربية ودور العرب في هذه الحضارة، وهناك من أضاف الحضارة العربية الاسلامية، ومع ذلك فهناك

من طالب بتسميتها بحضارة دار الاسلام. ويعزى الفضل إلى العرب والمسلمين في الحفاظ على هذا التراث الحضاري اليوناني الروماني بل والاضافة عليه خصوصا في الوقت التي عاشت أروبا العصور الوسطى حياة الجهالة والظلام، حيث اختفى التراث الحضاري الهليني بسبب الحروب الجرمانية التي أطاحت بالإمبراطورية الرومانية، فضلا عن عمل الكنيسة التي مسخت هذا التراث الإنساني ، لكن عندما حاولت اروبا النهوض من جديد في عصر النهضة وعملت على استرجاع تراثها، عولت في ذلك على المسلمين ودار الإسلام عموما، مع إضافة نتاج العقل الوجداني العربي الإسلامي الذي شكل أهم ركائز الحضارة الأوروبية الحديثة. وعموما لقد ساهم المسلمون وغير المسلمين ضمن مجال دار الإسلام في الاشعاع العلمي والعمراني والثقافي للحضارة العربية الإسلامية، التي ظلت شامخة في مجال جغرافي معلوم وحيز زمني محدد.

وموضوع الحضارة الإسلامية ارتبط بشكل كبير بدراسة التاريخ خصوصا عندما تجاوزت الدراسات التاريخية وصف الأحداث والأخبار السياسية والعسكرية بالدرجة الأولى، وإن كانت هذه الدراسات في بعض الأحيان تسقط في المبالغة في رصد مآثر الحضارة العربية الإسلامية.

وعموما فالحضارة العربية الإسلامية تعتبر منتوجا انسانيا أخذ سنده من الدين الإسلامي الذي شمل مجال هذه الحضارة وساهم في ازدهار الحضارة العالمية والحفاظ على التوازن بل واحياء بعض مظاهر ومقومات الحضارة الاوربية القديمة عندما حافظ عليها الرواد والمفكرين في الحضارة العربية الاسلامية وسلموها كما هي بل أضافوا عليها من تجربتهم مما مكن أوربا من تحقيق نهضتها.

أما عن المصادر والمراجع المساعدة في فهم خصائص ومقومات الحضارة العربية الإسلامية فهي كثيرة ومتعددة سنقتصر على البعض منها فقط ويمكن للطلبة العودة إليها لتوسيع مدارك الفهم والوقوف على أهم مظاهر هاته الحضارة التي أثرت في شعوب وحضارات أخرى .ونذكر على سبيل المثال كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والأحكام السلطانية للماوردي ، وكتاب الأموال لابن سلام ، مقدمة ابن خلدون الرائدة التي فصلت في مفهوم البداوة والتحضر وقدمت معايير دقيقة لا غنى للباحث عنها، وكتاب الإسلام وأصول الحكم لصاحبه علي عبد الرزاق، وكتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم ميتز، وكتاب الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح كتاب جماعي منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، وانجز محمد المنوني كتابا سماه ورقات عن حضارة المرينيين، تم كتاب تاريخ الحضارة العربية الإسلامية لمحمود اسماعيل، ومؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية في كتاب جماعي، ثم دراسات في تاريخ العمارة المغربية الإسلامية للباحثة نعيمة الحضري، ومؤلف حسن إبراهيم حسن النظم الإسلامية، وعبد العزيز الدوري مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، وعبد المنعم ماجد تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. ومحمد عابد الجابري له مجموعة من الكتب من بينها تكوين العقل العربي، ومحمد اركون تاريخية الفكر العربي، وثمة كتب أجنبية واستشرافية اهتمت بالحضارة الإسلامية مثل كتاب كلود كوهن تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ومولر، مقدمة في تاريخ الأديان، وريسلر ، الحضارة العربية. وتوماس ارنولد في كتابة الدعوة إلى الإسلام، وانجز المستشرق موريس لومبار، الإسلام في عظمته الأولى ، وهاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام. وساهمت مجلة عالم المعرفة في نشر بعض الأعداد تهتم بهذا الشأن، مثل كتاب العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي لصاحبة يحي وزيري. الثقافة والتفسير الأنتروبولوجي لصاحبه أدم كوبر، ثم كتاب يهتم بالعلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية لصاحبة دونالد هيل. هذه بعض المراجع التي اهتمت بموضوع

الحضارة الإسلامية وثمة سيل من الكتابات التي اهتمت بهذه القضية. وبناء على ما سبق من معطيات سنقسم مجالات دراستنا إلى قضايا نوزعها على شكل محاضرات والتي نحن نقوم بشرحها عبر بوابة الالكترونية للكلية والبث المباشر بالصوت والصورة فضلا عن المحاضرات المكتوبة وقد حددنا عددها في سبع محاضرات: محاضرة أولى تهتم بالتصور العام لوحدة الحضارة العربية الإسلامية وتحديد بعض المفاهيم (الحضارة، الثقافة، المدنية، الحضارة العربية الإسلامية) فضلا عن رصد بيبلوغرافيا موجزة لبعض ما كتب حول الموضوع. والمحاضرة الثانية: حضارة العرب قبل الإسلام بعض المظاهر الذاتية والدينية، والمحاضرة الثالثة: حضارة العرب قبل الإسلام بعض المظاهر السياسية والاجتماعية، المحاضرة 4 البعثة المحمدية وتأسيس الحضارة العربية الإسلامية، المحاضرة الخامسة مقومات وخصائص الحضارة العربية الإسلامية، المحاضرة السادسة : نظام الحكم في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، و المحاضرة السابعة: الحياة الثقافية في الحضارة العربية الإسلامية .

المحاضرة رقم 2 :

حضارة العرب قبل الإسلام: بعض المظاهر الذاتية والدينية

ثمة مقدمات أساسية مهدت لتشكيل الدولة القرشية منذ عهد قصي بن كلاب وإلى بعثة الرسول محمد وهجرته إلى المدينة وإقامة الدولة بها، ومن أهم هذه المقومات ، المقوم الذاتي والديني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي ، والثقافي. سنحاول من خلال المراجع والدراسات التاريخية، إبراز مساهمة بعض هذه المقومات كل على حدى في خلق كيان ومشروع دولة بدأت شرارتها تظهر قبل قرنيين من الزمن من ولادة محمد عليه السلام. ورغم أن بعض الباحثين قد لا يتفق مع قيام فكرة الدولة عند أل قريش قبل البعثة المحمدية، فإن الدارسين ساقوا من الأمثلة والأدلة التاريخية التي تثبت الإشارات الأولى مثل تحكم أسرة قصى في تسيير شؤون مكة بدءا بقصي ومرورا بهاشم ثم عبد المطلب الذين كانت لهم حظوة ومكانة خاصة داخل المجتمع القرشي ، وليس فيه فحسب بل داخل قبائل العرب في شبه الجزيرة العربية وحتى في علاقتهم مع حكام بلاد الشام وبناء على هذه المعطيات، ما هي أبرز المقومات التي مهدت لقيام الدولة ؟ وهل الأدلة التاريخية المستخرجة من الممارسات القرشية خلال تلك الفترة دليل قاطع على تطلع أل قريش إلى الحكم خصوصا قبيلة بني هاشم التي سيبزغ فيها النبي محمد بن عبد الله؟ كما نطرح سؤال ثان هل فكرة قيام الدولة وممارسة السيادة على مكة وشعائر الحج والتحكم في دار الندوة وتأمين التجارة وحل الخلافات داخل المجتمع مؤشرات دالة على انفراد أل قصي بالسلطة؟ وإذا سلمنا بذلك هل يمكن أن ينطبق ذلك على فترة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وهجرته إلى المدينة وإقامة الدولة هناك؟ بمعنى آخر هل كان طموح الرسول (ص)من بعثته هو إقامة الدولة؟

هذه جملة أسئلة سنتفاعل معها في دراستنا من أجل محاولة تجلية أهم خصائص هذه المرحلة والبحث عن الجذور التاريخية لاستئثار أل هاشم بالرياسة في مكة ومحيطها. وكيف اتم محمد عليه السلام قيام بناء الدولة الإسلامية بريادة قرشية كما تذكر بعض الدراسات.

أولا : قريش وقائع وأحداث قبل الاسلام

تعتبر قريش وهي قبيلة مضرية من قبائل الشمال أو القبائل العدنانية من أهم القبائل العربية وذلك للدور الذي لعبته قبل الاسلام وبعده وبصفتها قبيلة الرسول عليه السلام فقد نالت اهتمام المؤرخين منذ فترة طويلة وخصص لها الدارسون من مستشرقين وعرب ومسلمين دراسات عديدة . ومازالت تحظى إلى اليوم باهتمام كل من يدرس التاريخ الاسلامي من الجذور حتى القرن 21.

لقد كانت قريش وستظل موضوع بحث إلى أن يتمكن المؤرخون من تقديم لوحة عامة ومنسجمة عنها، تساعد في فهم الأرضية التي جعلت قريش تحديدا ومكة، وليس مكانا آخر.

إن ظهور الإسلام في قريش وكون محمد الذي بشر به وسهر على نشره وجعله دين عرب فردا منها، وكون الخلفاء الذين حكموا الدولة الإسلامية إلى نهاية الخلافة العباسية هم أيضا منها، هو الذي مثل عاملا حاسما في اهتمام الإخباريين والمؤرخين بقريش وبموطنها مكة سعيا منهم إلى معرفة الظروف التي حفت بالدين الجديد وبصاحبه أو لاسترضاء الخلفاء من أصل قرشي.

تجدر الإشارة إلى ازدهار التدوين عن قريش بشكل خاص في بدايات العصر العباسي من الربع الأخير للقرن الثاني إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة - الثامن والتاسع للميلاد- والسبب في ذلك أن قريشا هي قبيلة الخلفاء وبنو هاشم هم أسرة العائلة الحاكمة، فوضعت المؤلفات حول تاريخ قريش وحول شخصياتهم البارزة من سلالة عبد مناف وفي فضائل عبد المطلب والعباس..

***سيادة قريش في مكة:**

استقرار قريش في مكة:

إن ما يهمنا في هذا البند هو معرفة معنى اسم " قريش"، وفي هذا الإطار يعتبر ابن حبيب أن اسم قريش ارتبط بقصي بن كلاب الذي جمع الأصرام المتفرقين في كنانة، ودخل بهم مكة فسموا قريشا ويضيف قائلا، والتقرش: التجمع وهكذا يحسم ابن حبيب أمر التسمية فيعتبرها ظهرت في عهد قصي وهو يستند لتأكيد موقفه هذا، إلى شعر للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب يقول فيه:" وبنا سميت قريش قريشا"، وإلى قول لحذافة العدوي الذي أشار فيه إلى قصي بالقول " كان يدعى مجمعا"، وبناء على رواية لهشام بن محمد عن بشر الكلبي عن أبيه يلاحظ ابن حبيب أن قريشا كان يقال لها قبل قصي بن كلاب " بنو النضر وكانوا متفرقين في ظهر مكة". وهذه الرواية التي قدمها ابن حبيب وحسم بها تسمية قريش تختلف عن روايات أخرى، ونحن لانفهم لماذا لم يذكرها ابن حبيب رغم أن بعضها ورد في جمهرة النسب لابن كلبي الذي رواه بنفسه، يقول ابن الكلبي " فولد مالك بن النضر فهرا وإليه جماع قريش"..

سيطرة قريش على مكة:

مهما يكن من أمر فإن عدم دقة الروايات قد يعود إلى أن تجمع قريش لم يكن ذا أهمية قبل قصي. فإذا اعتبرنا أن الولاية على البيت في مكة هي مقياس القوة، فإن قريشا لم تسد مكة إلا مع قصي بينما كانت السيادة قبل ذلك لخزاعة وقبلها لإياد وقبلها لجرهم حسب المرويات الإسلامية وبالتالي فإن تاريخ قريش كتجمع ذي شأن بدأ مع قصي ، يقول هشام جعيط: " الشخص المؤسس هو قصي بن كلاب لأنه هو الذي قام بعملية الاستقرار في البطاح حول الكعبة، التي كانت مزارا يحج إليها مرة في السنة أو قد جعلها قصي كذلك. ولكن يلاحظ جعيط " أن قصي لم يكن هو الجد الأعلى لكل العشائر التي وطنها،

فمخزوم لم تكن من سلالته ولا تيم ولا عدي ولا غيرها ممن كبر حجمها في زمن الرسول، ولاشك أنهم كانوا قلة في الأصل. ويجب البحث عن الجد الأول التاريخي لهذه السلالات التي انقسمت على نفسها وكبرت حتى أصبحت عشائر. وتفيدنا رواية ياقوت بمعلومات دقيقة عن تاريخ سيطرة قصي على مكة." ..فقصي أول من أصاب الملك من قريش.. وذلك في أيام المنذر بن النعمان على الحيرة والملك لبهرام جور في الفرس، فجعل قصي مكة أرباعا وبنى بها دار الندوة.. وتستنتج الباحثة سلوى بلحاج تاريخ سيطرة قصي على مكة، إذ ملك المنذر بن النعمان الحيرة فيما بين سنتي 418-452 م، وامتدت إلى فترة ملك بهرام جور الفارسي المعاصر له من سنة 438م، فعلى هذا الأساس يكون تاريخ سيطرة قصي على مكة قبل سنة 438م.

ثانيا: المقدمات الذاتية

1- قصي بن كلاب وارهاصات الدولة

إذا كانت الدولة الإسلامية قد انطلقت من المدينة المنورة على عهد الرسول محمد بن عبد الله، وحاولت تثبيت أركانها في فترة حياته صلى الله عليه وسلم وحتى بعد مماته مع الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم، فإن بعض الدارسين يؤكد أن ميلاد الدولة ليس وليد اللحظة وإنما ثمة ارهاصات ومقدمات سبقت عهد محمد عليه السلام، تعود إلى جده قصي بن كلاب لأزيد من قرن ونصف من الزمن خلت، كما يؤكد على أن أهل قريش هم مؤسسوها، ونحن هنا لا يسعنا سوى تمحيص الأفكار التي جاء بها وفهم النسق الفكري، الذي جعله يعتمد هذه المقدمات الذاتية إذ يقول :" هذه شواهد تاريخية حرصنا على أن تجيء موثقة أشد ما يكون التوثيق الدقيق، تقطع بأن الدولة التي قامت في يثرب (المدينة المنورة) على يد النبي العربي محمد....حوالي 624م، هي دولة قريش التي ظلت تعمل على انشائها منذ ما يقرب من مائتي عام، عندما وضع لبناتها الأولى قصي بن كلاب، حتى تحققت لها الشروط الموضوعية من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية".

انقضت 150 سنة تقريبا بين وضع البذرة في الأرض وبين حصاد الزرع وجني الثمار. وإن كان التساؤل حول صواب هذا التشبيه خصوصا وأن ثمة فاصل وحاجز بين فكرة دولة قريش قبل محمد والتي كانت فكرة بشرية مائة بالمائة وقيام الدولة في عهد محمد والتي كما تؤكد كثير من الروايات التاريخية أنها جاءت مسددة بالوحي. ومع ذلك تشير الدراسات أن قريش قد تحولت من قبيلة مستضعفة تقطن الجبال وشعاب مكة إلى قبيلة حاكمة تقبط بزمام الحكم والمال في مكة وتستقر في الأبطح، وأضحت من أشرف قبائل العرب بل ويطلق على عناصرها ب " أهل الحرم"، ومصاهرتهم تعد مزية ورفعة. إذ تذكر المصادر " كان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وحاز شرف مكة كله جميعا، فسمي مجمعا لجمعه قومه". وحسب بعض الباحثين "كان قصي يسقي الحجيج في حياض من أدم ينقل إليها من بئر ميمون وغيرها خارج مكة، وذلك قبل أن يحفر العجول.." وقسم قصي مكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والندوة فكانت فيهم النبوة والثروة. وأعطى عبد الدار الحجابة واللواء، وأعطى عبد العزى الرفادة والضيافة أيام منى فكانوا لا يجيزون إلا بأمره. وهذا يبين أن قصي أعطى عناية كبرى للحج لأنه محج قبائل جزيرة العرب كافة كل سنة، وتقام فيه الأسواق مثل سوق عكاظ ويتنافس الشعراء بمعنى أن الحج أصبح موسما دينيا وتجاريا وثقافيا، وحسب أحد الدارسين فسلوك قصي يعبر عن قيام كيان دولة مركزية قامت في مكة، وأن قريشا اصبحت دولة تتحكم في البيت الحرام وتنظم شؤون البلاد وهي تتجه نحو

جمع القبائل بمنطقة الجزيرة العربية. وهناك نستحضر البعد الديني "الحج" الذي يمثل المقدس كعامل حاسم في جمع لحمة قبائل الجزيرة وترسيخ اقدام الدولة القرشية. وعموما يمكن استخلاص ثلاث معطيات مهمة حول شخصية قصي وعلاقته ببناء أركان" الدولة"

أولا: ذكر المؤرخون أن قصي كان أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع فلا يعمل بغيره.

ثانيا: جمع بطون قبيلة قريش واسكنها في أشرف البقاع الأبطح (البلد الحرام)

ثالثا: شيد قصي دار الندوة وفيها كانت تتم المشاورات وجميع الأمور المهمة بين شيوخ قريش والقبائل فاعتبرت بذلك مقرا للحكم المركزي. وتبرز الروايات التاريخية أن قصي هو " أول من أصاب ملكا أطاع له به قومه"

2- هاشم وعبد المطلب يسيرون على نهج قصي

توفي قصي بمكة.. فأقام بنوه بأمره وقد ورث هاشم ومن بعده عبد المطلب تركة قصي في السلطة والتحكم في شؤون الحج بل ومحاولة توسيع الدائرة لتشمل تأمين التجارة البعيدة المدى تسمى رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن ثم إلى بلاد الشام.(كما وردت في سورة قريش) وجمع شمل القبائل وعقد الأمان . رغم المحاولة التي قام بها الأشرم (أبرهة) وجيشه اليمني في اسقاط الكعبة ومن ثم اسقاط هيبة قريش، فإن عبد المطلب بذكائه تمكن من تجنيب قومه المواجهة العسكرية ودعاهم إلى التمركز في شعاب مكة ، وذكر قولته المشهورة إن للبيت رب يحميه. ونعلم جميعا كيف كانت هزيمة الجيش اليمني سواء بانتشار الأمراض الفتاكة في صفوفه، أو كما ذكر القرآن في سورة الفيل(فأرسلنا عليهم طيرا أبابيل...). وبعد نهاية الحملة العسكرية خرج عبد المطلب منتصرا ونال حظوة واحتراما أكبر فعظمت العرب قريش، "وقالوا هم أهل البيت قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم" كما جاء في دراسة ابراهيم احمد ابراهيم الشريف (مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول). وبعد وفاة عبد المطلب لم تجد قريش زعيما يتحكم في بطون وأفخاذ قريش خصوصا أن قريشا كانت على وشك الخروج من القبيلة إلى الدولة. رغم التحفظ الشديد على كلمة الدولة لأن شروطها لم تكتمل بعد.

3- حلف الفضول والحكم الجماعي في ظل غياب شخصية الزعيم

إذن في ظل غياب شخصية جامعة ولتجنب الأخطار المحدقة، كان الذهاب الى الحكم الجماعي وتم انشاء حلف الفضول، الذي جاء نتيجة الحروب والاضطرابات القبلية بين العرب، أو ما يعرف ب "أيام العرب" أربعة حروب سمهاها المؤرخون حرب الفجار، إذ استحلت فيها الأشهر الحرم على خلاف العرف السائد. وهنا استشعرت قريش الخطر المحدق بها من تفرق الكلمة وانفراد كل قبيلة بزمام أمرها مما قد يعجل بنهاية قبائل قريش . هنا ستبرز شخصية الزبير بن عبد المطلب الذي دعا "بنوهاشم" و"زهرة" و"تيم" في دار عبد الله بن جدعان "فتعاقدوا وتعاهدوا على نصرة المظلوم والتآسي في المعاش" فيما بينهم فسمت قريش ذلك الحلف "حلف الفضول"، وتذكر الروايات الإخبارية أن هذا الحلف قد أثمر وحقق النتائج إذ كان القصد منه نشر الأمن وتخفيف التمايز الاجتماعي للتخفيف على الفئات الفقيرة . وهي خطوات نحو تعزيز اللحمة القرشية والتمكين للقبيلة استعدادا للانتقال إلى الدولة. وقد أدرك محمد عليه السلام الأهمية السياسية لهذا الحلف فقال :" شهدت في دار ابن جدعان حلفا لو دعيت

به في الإسلام لأجبت" ، وفي رواية أخرى " ما أحب أن لي حلف حضرته في دار ابن جدعان من حمر النعم ولو دعيت به لأجبت".

4- حكومة الملأ ملأ قريش:

يعرف الراغب الأصفهاني الملأ بقوله: " جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء ومنظرا والنفوس بهاء وإجلالا.." ويورد د حسين مروة تعريفا لغويا للملأ بقوله:" اسم الملأ المكي يستمد مضمونه التاريخي هذا من دلالته اللغوية، فهو كما تقول المعاجم يعني الأشراف والعلية والقوم ذوي الشارة أي ذوي المظهر الحسن والشرف ورغم أن بعض الدارسين يؤكد على توفر المال والثروة في اختيار الملأ المكي فلاشك أن ثمة عناصر أخرى جوهرية حكمت عملية الاختيار ومنها العقل والحكمة والحسب والشرف وسعة الأفق ونفاذ البصيرة والخبرة التي محصتها السنون. فكان أكثر رجال دار الندوة من البالغين المتقدمين في العمر، وقد عرف علماء العربية "الملأ" أنه الرؤساء والجماعة وأشرف القوم ووجوههم ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. ولكن ممن تكونت حكومة الملأ "ملأ قريش"؟ يذكر خليل عبد الكريم أنه جاء في العقد الفريد " من انتهى إليه الشرف في الجاهلية فوصله بالإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن وهم: هاشم وأمية ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعدي وجمح وسهم فكان(1)من هاشم: العباس بن عبد المطلب يسقي الحجيج .(2)ومن بني أمية : أبو سفيان ابن حرب وكانت عنده راية قريش" العقاب". (3) ومن بني نوفل : الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة. 4 ومن بني عبد الدار: عثمان بن طلحة وكان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة والندوة. 5 ومن بني أسد : يزيد بن زمعة بن الأسود وكانت إليه المشورة. 6 ومن بني تيم: أبو بكر الصديق وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم. 7 ومن بني مخزوم: خالد بن الوليد وكانت إليه القبة والأعنة.8 ومن بني عدي : عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة.9 ومن بني جمح: صفوان بن أمية وكانت إليه الأيسار فهي الأزلام.10 ومن بني سهم: الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لآلهتهم(خليل عبد الكريم قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، الانتشار العربي ط 2 1997.ص 118-119.)

وقد ظلت مكانة دار الندوة والمهام التي تتم فيها أو تنطلق منها مستمرة إلى فتح مكة وبدأ الملاء يقوم بوظائف السلطة المختلفة انطلاقا من دار الندوة، ومن بين تلك الجوانب الاجتماعية ذات الدلالة الرمزية العميقة :" إن كانت الجارية تبلغ أن تدرع فما يشق درعها إلا فيها أي في دار الندوة ثم ينطلق بها إلى أهلها" (ابن سعد، الطبقات الكبرى/ خليل عبد الكريم ، قريش.. ص 122.) وكان الذي يتولى شق درع الجارية بنو عبد الدار بن قصي في دار الندوة، ثم تنصرف إلى أهلها فيحجبوها. كما كان يختن الصبيان داخل الدار، وبعض الدارسين اعتبر الأمر مجرد تعريف بالبالغين من قريش ذكورا وإناثا.

وعموما كانت حكومة الملأ ملأ قريش حكومة نخبة وثلة من علية القوم وحكمائه، ورغم بعض التحفظ الذي قد يقال عند بعض المشاركين في حكومة الملأ خصوصا ذوي الجاه والمال والثروة، فلا ننكر بعض الصفات الأخلاقية التي ميزتها وجعلتها موضع تقدير. الآراء تعددت في وصف حكومة الملأ، فهناك طه حسين الذي نفى عنها صفة الحكومة الجمهورية أو الأرستقراطية، اما "واط " فيصف الحكومة بالديموقراطية ، ويصفها حسين مروة بأنه شكل من أشكال السلطة السياسية لسيطرة الفئة المالكة على وسائل الثراء واستغلال الآخرين. ويذهب محمد كرد علي على أنها جمهورية صغرى ، ويرى الباحث توفيق سلطان اليوزبكي أنها حكومة ثيوقراطية في يدها السلطة السياسية والدينية، لكن رأي الباحث خليل عبد الكريم يخالف كل هذه الآراء . وفي رأيه أن حكومة الملأ كانت أقرب إلى " دولة

المدينة" باشرت السلطة فيها أقلية ..استندت إلى الثروة والنسب والحسب والميزات الفردية لأعضائها ووظفت الجانب الديني لتدعيم سيطرتها..". وهذا التعريف في اعتقادنا أيضا يحتاج إلى التمحيص والسؤال عن المقارنة بين حكومة الملأ قبل ظهور الإسلام ، ودولة المدينة بعد ظهور الإسلام وكأن شيئا لم يتغير -، سواء من حيث المكان (الانتقال من مكة إلى المدينة)، أو من حيث العقيدة (الانتقال من عبادة الأصنام إلى التوحيد) ، أو من حيث تحول اتجاه الطرق التجارية من العاصمة الاقتصادية مكة إلى مدينة يثرب (المدينة)أو القبيلة: الانتقال من قبيلة قريش كانت تهيمن إلى دخول أطراف أخرى كاليهود والأوس والخزرج أصحاب الأرض. وعموما هذه بعض الأفكار التي حاولت أن تبرز الدور الذي قامت به قريش منذ عهد قصى وإلى حكومة الملأ في محاولة لإنشاء دولة قرشية مستعينة بكل المقومات الذاتية التي ذكرناها فضلا عن المقومات الأخرى الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ثالثا: مقدمات دينية

انتشرت الديانتان الساميتان التوحديتان: اليهودية والنصرانية في جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام على تفاوت بينهما في المدى والرقعة، وقد عمل بعض العرب على نقل هاتين الديانتين إلى جزيرة العرب ، وفي اتصال العرب بتلك البلاد التي كانوا يسافرون إليها مرتين كل عام، الأولى في الشتاء والثانية في الصيف، عرفوا اليهودية والنصرانية وعرفوا توحيد الإله كما أنهم تعرفوا على كتابيهما المقدسين، وثمة سبب آخر هو انتقال تجار من أهل الذمة إلى بلاد العرب عامة، ومن بينها مكة التي كانت ملتقى القوافل ومركز التجارة ومقر لجواسيس الدولتين الفارسية والرومانية، ومن ثم لاشك أن عرب الجزيرة قد احتكوا بهؤلاء. إذن ما هي مقومات كل ديانة على حدى في بروز دولة قريش؟

1- اليهودية:

تمركزت اليهودية بيثرب (المدينة) أكثر من غيرها من المناطق بمنطقة الحجاز، وقد أثرت اليهودية في مجتمع الحجاز فانتشرت قبائل يهودية مثل بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وبني زعورا وبني هدل..، وتؤكد الدراسات أن اليهود كانوا يسيطرون على يثرب قبل هجرة النبي عليه السلام سيطرة كاملة، باعتماد ثلاث وسائل وهي العقيدة والمال والمكر، تقول الروايات أن تأثر العرب باليهودية كان محدودا بالقياس إلى تأثرهم بالديانة النصرانية، لكن اليهودية أثرت على الفكر الديني أولا : إذاعة عقيدة التوحيد ، وثانيا : ترسيخ عقيدة أو فكرة النبوة، ثالثا : التأثير على الخطاب الديني وادخال مفاهيم البعث والحساب والميزان والجحيم ...ورابعا : اليهودية تناولت الحياة من جميع جوانبها ومنها الحدود ..، عموما هذه التأثيرات كان لها دورا بالغا في قيام دولة قريش في المدينة المنورة.

2- المسيحية:

سادت الديانة المسيحية في الجزيرة العربية أكثر من الديانة اليهودية لعدة عوامل جغرافية وتاريخية وسياسية واقتصادية، وقد تغلغلت المسيحية في القبائل العربية كما تذكر بعض الدراسات، بل اخترقت قبيلة قريش. وكانت نجران باليمن هي الوطن الرئيسي لانتشار المسيحية في الجزيرة ..،ونظرا لانتشارها الكبير في معظم المناطق العربية فإنها تركت آثارا عميقة على غرار الديانة اليهودية من بينها : أولا: ترسيخ عقيدة «التوحيد» ثانيا: تكريس عقيدة أو فكرة النبوة والتبشير بظهور نبي ، ثالثا: تركت المسيحية أثرا في عرب الجزيرة على مستوى الخطاب الديني، الجنة والنار والبعث العقيدة والمال ..

المحاضرة3

حضارة العرب قبل الإسلام :بعض المظاهر السياسية والاجتماعية

أولا: مقدمات سياسية: تميزت الأحوال السياسية للدولتين الكبيرتين البيزنطية والفارسية، بالسوء والتدهور عند بروز بوادر دولة قريش ، والتمكين لها في المدينة المنورة بعد ذلك، فالمراقب لأحوالهما يقطع بأن شمسهما قربت من المغيب، وأن ضعفهما ودخولهما في طور الانحدار كان من بين الأسباب التي ساعدت القرشيين في إقامة دولتهم .

دولة الفرس : في نهايتها كثر حكامها وتداولهم عرش الملك لفترات قصيرة، بسبب ظلمهم للرعية وقتلهم الأشراف وإسرافهم، فضلا عن الحروب التي خاضها الأكاسرة ضد الدولة البيزنطية أو غيرها، مما أرهق خزينة الدولة . وعموما فقد كانت الدولة في طور السقوط والاندثار، وكانت دولة قريش تبزغ في الأفق ، فلو كانت الامبراطورية قوية لشكلت متاعب كبرى للدولة الفتية

الدولة البيزنطية : فهي الأخرى دخلت كما سبقت الإشارة طور الضعف والاضمحلال، ومن أبرز المشاكل الاختلاف الديني بين أبناء الديانة المسيحية الواحدة وتفرقهم شيعا وطوائف، ثم مشكل فقدانها للتجارة العالمية، ثم انتشار الفساد في الكنيسة المسيحية بكل أنواعه، وعموما كانت الامبراطورية في مرحلة ضعف شديد مما شجع الجيوش العربية الإسلامية للسيطرة على جزء مهم من أراضي الامبراطورية، ومن ثم ساعدها على ترسيخ أركان الدولة الإسلامية في المدينة.

ثانيا: المقدمات الاجتماعية:

كان المجتمع في الجزيرة العربية مجتمعا قبليا، وكان ينقسم إلى عرب وهم سكان المدن والمراكز الحضرية وكانوا يسمون بأهل المدر أي أصحاب البيوت المبنية، وأعراب وهم الذين يقطنون البادية وكان يطلق عليهم أهل الوبر أي الذين يعيشون في الخيام ، وكان العربي يغضب إذا قيل له يا أعرابي.. كان أهل البادية غير مستقرين وأرزاقهم فوق رؤوس رماحهم وسيوفهم، فقد كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية. يكتفون بالضروري من المعاش، ولا يبالغون في المطاعم والملابس. لقد كان أهل هذه القبائل يميلون إلى حمل السيف وخوض الحروب ويعتقدون أن الفلاحة والصناعة من اختصاص العبيد، فنجدهم غالبا في الحروب والغزوات . والقبيلة تتكون من طبقتين ، طبقة الفقراء وأغلب أفرادها يقطنون في الخيام المتواضعة ولباسهم بالي ويأكلون الطعام الخشن التافه ويمارسون الأعمال الشاقة، وعليهم يكون الثقل الأكبر في الحروب ومواجهة العدو. أما الأغنياء فهم الذين كانوا يمتلكون قطعان الإبل والشاه وعلى درجة من الغنى ويسكنون خياما جيدة فيها فرش وثيرة وملائمة ولباسهم فاخرة وطعامهم طيب.. . وإلى جانب ذلك هناك فئة كانت تسمى الموالي وتسميهم القواميس حسب رأي خليل عبد الكريم بالزعانف ويطلق على أحدهم الزنيم والتنواط وهو الذي يناط بالقوم أو يلتصق بهم وليس

منهم. وهم ينحدرون في الغالب من قبائل أخرى تركوها ولم يعودوا إليها فالتجأوا إلى أخرى تسبغ عليهم حمايتها، أو هم من الأسرى الذين وقعوا في الأسر. وعموما لقد كانت قبيلة تضم عناصر متنوعة من الفئات الاجتماعية منهم الأسياد والعبيد وغيرهم من الأصناف الأخرى وكانت للشعراء مكانة خاصة في قبيلتهم بل كانوا هل من يعبرون على لسان حالها في مواجهة القبائل الأخرى ، دون ان نغفل انتشار اللصوصية والصعلكة التي كانت تختار قطع الطرق موردا لرزقها. لقد كانت القبيلة تمثل الوحدة الاجتماعية إلى جانب الوحدة السياسية فهي بمثابة دولة صغيرة تتوفر على مقومات الدولة باستثناء عنصر الأرض الثابتة ، لأنها كانت تتنقل من منطقة إلى أخرى حسب ظروفها ومعطياتها الاقتصادية والأمنية ومع ذلك كان لها مجال تتحرك فيه تذهب ثم تعود إليه في فصول السنة الملائمة . أما حكم القبيلة فهو من اختصاص شيخ القبيلة وسيدها الذي يشترط فيه خصائص الكرم والشجاعة والحلم والدهاء وسعة الصدر والحكمة والفصاحة وغيرها مثل كثرة المال والرزق حتى يتمكن من حماية القبيلة ويهاب جانبه. وقد كان يتميز الشيخ بالحرية في إصدار القرات رغم أنه كان يرجع إلى مجلس القبيلة ومع ذلك فإن سلطته كانت مطلقة. ونذكر هنا بحقيقة مفادها أن القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية كانت مشتتة وغير متحدة وفي صراع دائم فيما بينها، باستثناء بعض التحالفات القليلة. وقد ظل الفراغ السياسي يعم شبة الجزيرة العربية ككل رغم رغبة البعض في توحيدها سياسيا. لكن لم يتمكنوا من تحقيق ذلك حتى ظهر الإسلام في قبيلة قريش واستطاعت من توحيد شبة الجزيرة العربية ونظرا لأهمية قبيلة قريش وأدوارها الكبرى التي ستلعبها لابد من التعريف بها .

عموما هذه بعض المقدمات الأساسية لقيام الدولة القرشية ،ومع ذلك فيظهر أن هذه المقومات كانت تشكل ثوابت أساسية لمعرفة كنه المجتمع القرشي ومنطقة شبة الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وبعده، ذلك أن هذه الخصوصيات هي التي تحكمت في مجريات الأحداث وساهمت في التسريع بظهور الدين الجديد والدولة التي كانت تحلم بها قبيلة قريش بسبب ريادتها في مكة قبل البعثة بزعامة قصي بن كلاب ومن جاء بعده. ومحمد عليه السلام سيتمكن من إقامة الدولة في المدينة ولكن بمقومات جديدة دينيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

المحاضرة 4

البعثة المحمدية وتأسيس الحضارة العربية الإسلامية

انطلقت الدعوة الدينية الإسلامية مبنية على عقيدة التوحيد في وسط أمة متمسكة بالوثنية وبالعصبية وترفض المساواة ، لكن محمد عليه السلام تمكن من نشر عقيدة التوحيد رغم المقاومة التي تلقاها هو وأتباعه مما اضطره إلى الهجرة نحو يثرب حيث أقام فيها الدولة. إذن ما هي ظروف بعثة محمد عليه السلام؟ وما هي ملابسات هجرته إلى المدينة وقيام الدولة القرشية الإسلامية؟ وما أبرز الغزوات التي خاضها وكيف ساهمت في تقوية شوكة الدولة الفتية وترسيخ تواجدها في شبه الجزيرة العربية وما جاورها؟

ظروف بعثة محمد عليه السلام وخصائص دولة المدينة

*حياة محمد الرسول قبل البعثة

محمد بن عبد الله: الولادة والنشأة: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب ويرتفع نسبه إلى معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهو من قريش ومن أسرة من أشرف أسرها. ولد بمكة في عام الفيل سنة 570 م أو 571م، توفي والده قبل ولادته وروايات أخرى تقول بانه توفي بعد شهر من ولادته ،نشأ يتيما فكفله جده عبد المطلب ولما ولد محمد عليه السلام التمسوا له المراضع فأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب أياما، أما مرضعته المشهورة فهي حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور، ظل في كفالتها مدة عامين حتى فطم فرجعت به إلى أمه، ثم رجع مع حليمة بطلب من أمه خوفا عليه من وباء مكة، فرجع إلى أرض بني سعد بن بكر وظل بينهم حتى بلغ الخامسة من عمره، وبعد بلوغه سن السادسة فقد أمه السيدة آمنة بنت وهب بمنطقة الأبواء ما بين مكة ويثرب، وذلك أثناء عودتها من يثرب إذ كانت وابنها تزوران أخواله من بني النجار. حسب بعض الروايات، ثم كفله جده عبد المطلب وضمه إليه وكان يوثره على بنيه، ويغمره بالعطف الكبير. ثم توفي عبد المطلب ومحمد في سن الثامنة، فتولى عمه أبو طالب رعايته فقد كان محمد يحبه ولا ينام إلا في حجره .وتحت كفالة عمه أبي طالب تربى كما يتربى أي فتى عربي في عصره فرعى الأغنام بالبادية في طفولته، واشتغل بالتجارة في ريعان شبابه، وأظهر نبوغا فعرضت عليه الزواج السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي - وهي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال ، يتاجر الرجال في مالها- ، التي انجب منها معظم أبنائه وبناته. كانت لمحمد عليه السلام مكانة خاصة وهو محترم لدى قريش واشتهر بالصدق والأمانة وكان حنيفيا لم يعبد الأصنام، وكان يتجه نحو العزلة والتأمل والتعبد في غار حراء خصوصا في شهر رمضان، فلما بلغ سن الأربعين بعثه الله نبيا ورسولا، فنزل عليه الوحي الإلهي بغار حراء.

*بعثة محمد (ص) في مكة : من الدعوة السرية إلى الجهرية.

شرع محمد عليه السلام في تبليغ الدعوة في مكة بعدما نزل عليه الوحي وهو في سن الأربعين، بقي في مكة 13 سنة وكانت في البداية سرية ، ثلاث سنوات وهو يدعوا إلى الإسلام اقتصرت دعوته على أقاربه والمقربين منه فآمن معه القليل من أهل بيته وكبار الصحابة مثل أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام، فكانت دار الأرقم مكانا لنشر دعوته السرية وكان الفقراء والموالي في مقدمة المؤمنين بها. ثم سرعان ما ستصبح الدعوة جهرية لما أمر الرسول بذلك قال له تعالى : " واصدع بما تومر.." ، فجمع بنو هاشم وهي عشيرته فدعاهم إلى الإسلام فلم يلبوا دعوته، وكان يهاجم آلهة قريش وأصنامهم فلم يجد سوى السخرية والاستهزاء بداية الأمر، ثم كثر عدد المعتنقين لدعوته رويدا رويدا، فأحس أهل قريش بخطورة الأمر فقاوموا دعوته وحاربوها بكل الوسائل حتى إنهم أغروه بالمال والجاه فرفض.، وقد ذكر ابن كثير أن أتباع محمد تعرضوا لشتى أنواع التعذيب ضربا وتجويعا وعطشا، فبدأ الرسول يفكر في هجرة أصحابه إلى مكان آمن حتى ينقذهم من تعذيب قريش لهم. فأذن لهم بالحبشة خلال السنة الخامسة من البعثة النبوية.

- **دعوة القبائل إلى دين الإسلام وبداية الهجرة نحو يثرب .**

بدأ الرسول يفكر في هجرة أصحابه إلى مكان آمن حتى ينقذهم من تعذيب قريش لهم فأذن لهم بالحبشة، وفي هذه اللحظة دخل الإسلام عمر بن الخطاب ، وازداد غضب قريش بدعوة القبائل العربية الدخول في الإسلام خصوصا في موسم الحج ، مما اضطرهم إلى مقاطعة بني هاشم وحاصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنين، وكانت مقاطعة كبيرة حتى سميت سنة وفاة خديجة وعمه بعام الحزن.

ولما توفي أبو طالب خرج محمد (ص) إلى الطائف يلتمس من قبيلة ثقيف النصر والمنعة له من قومه، إلا أنه وجد عكس ما كان يرغب ورجع إلى مكة - وقريش قوية- فلم يتمكن من نسج تحالفات مع ثقيف وغيرها من القبائل التي عرض عليها دعوته، ومع ذلك استمر الرسول في عرض دعوته على قبائل كندة وبني عبد الله وبني حنيفة وبني عمر بن صعصعة لكنهم رفضوا دعوته. وفي موسم الحج للسنة 11 من البعثة خرج الرسول كعادته، فبينما هو عند العقبة التقى مع 6 نفر من الخزرج فعرض عليهم دعوة الإسلام فصدقوه ثم التزموا معه باحتضانه في يثرب ونصرته والدفاع عن الإسلام فكانت في البداية بيعة العقبة الأولى حيث آمن به في هذا الموسم ستة من الخوارج هم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ومالك وقطبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله . ثم كانت البيعة الثانية في موسم الحج الموالي حضرها 73 رجلا ومرأتان ، فاختار الرسول تسعة نقباء من الخزرج وثلاثة من الأوس فجعلهم وكلاء على قومهم وقد ساعد في قبول دعوته أن الأوس والخزرج كانوا يسمعون عن اليهود بيثرب أن نبي قد طل زمانه. وقد اشتد الأمر على المسلمين من طرف قريش فأمرهم الرسول بالهجرة إلى المدينة، بعدما كان قد أمر بعض الصحابة في بداية الدعوة بالهجرة إلى الحبشة. ومن ثم فالهجرة إلى المدينة عجلت بالتحاق النبي بالصحابة حينما قرر الهجرة هو وأبو بكر الصديق وهو حدث مشهور حيث تعقبته قريش في محاولة لقتله والتخلص منه، لكنها لم تتمكن من ذلك بسبب العناية الإلهية.

- **<u>هجرة الرسول إلى يثرب وإقامة الدولة الإسلامية القرشية:</u>**

هاجر محمد عليه السلام إلى المدينة هو وأصحابه في السنة 14من البعثة، وتم تنظيم المجتمع على أسس جديدة مرتبطة بالدين الجديد فتمت إقامة المسجد النبوي مكانا للصلاة ومركزا للدعوة ومقرا لاتخاذ المواقف السياسية والحربية ، وكتب صحيفة أمن وسلام بين المهاجرين والأنصار، وتعهد ليهود يثرب بضمان حرية دينهم. وكان الوحي ينزل تشريعات سيتم توظيفها في الدولة الجديدة، فانتشر السلم وتحالف المسلمون مع القبائل المجاورة.

<u>*الصراع بين مجتمع المدينة ومجتمع مكة:</u>

الغزوات والسرايا الأولى : لما استقر محمد وأتباعه من المهاجرين والأنصار بيثرب -التي سيطلق عليها اسم المدينة -، وبعد القرارات والقوانين الى اتخذها ، استمر الوحي بالنزول فنزلت عليه آية القتال ، وبعدها بدأ باعتراض سبيل القوافل التجارية القرشية بإرسال السرايا، ثم ما لبث أن تصاعد التوتر حدة بعد عودة محمد عليه السلام من غزوة العشيرة، حيث أغار كركر بن جابر الفهري على المدينة ضدا على مناوشات المسلمين، فخرج الرسول لمواجهته حتى بلغ وادي سفوان من ناحية، ولم يتمكن من ادراكه وهي تسمى غزوة بدر الأولى. وفي هذه الفترة كانت معركة بدر الكبرى التي اختل فيها ميزان القوى لصالح المسلمين على حساب أهل قريش وحلفائهم الذين انهزموا هزيمة كبيرة في 17رمضان عام اثنين للهجرة حيث كان أبو سفيان بقوافله التجارية فتمكن من النجاة من قبضة المسلمين لما علم برغبتهم في اعتراض سبيله فغير الطريق، ورغم نجاته فقد قرر أهل قريش الذين خرجوا لحماية القافلة بضرورة مواجهة المسلمين ، حيث كانوا على أتم الاستعداد العسكري قوة وعددا وتجدر الاشارة أن معركة بدر أحدثت انقسام داخل العشيرة الواحدة والاسرة الواحدة، فلم تعد المواجهة قبلية بقدر ما أصبحت مرتبطة بأهل الشرك وأهل الاسلام.

وقد عملت قريش على خوض معركة ثانية لرد الدين، سميت بأحد انهزم فيها المسلمون في السنة الثالثة للهجرة وكان سبب اندلاعها رغبة قريش في محو آثار هزيمة بدر، والجدير بالذكر أن جيش المسلمين عرف نوع من الاختلال قبل الخروج إلى المعركة حيث وقع اختلاف بين المسلمين في الخروج من عدمه ، ثم تخلف ثلث الجيش في الطريق وقد استعجل المسلمون النصر قبل نهاية المعركة ففكروا

في الحصول على الغنائم خاصة فرقة الرماة التي كلفت بحماية ظهر الجيش فخالفت الأوامر، فكانت الهزيمة الكبيرة. ، ثم جاءت موقعة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة عندما رغب المشركون في خنق المسلمين والاسلام ، في معقله ومهده بالمدينة ، وذلك بخلق تحالف عدد من القبائل ولهذا أطلق على المعركة الأحزاب ، إذ كان الهدف هو عزل المسلمين عن بقية القبائل ، وكانت عوامل هذه المعركة ما نتج عن اجلاء الرسول عليه السلام يهود بني النضير عن ديارهم، وقد تمكن اليهود من توحيد قبائل العرب لغزو المدينة ، فقد وظفوا ايضا المنافقين من داخل المدينة نفسها، من أجل نشر التخاذل والشعور بالهزيمة قبل خوض المعركة في صفوف المسلمين، لكن تمكن الرسول وجيشه من الحاق الهزيمة بالأحزاب بعد حفر الخنذق وتدخل القدرة الالهية (الريح) في ابعاد الأحزاب ، وهنا يمكن أن نتكلم عن توازن الرعب ، وفي السنة العاشرة قرر المسلمون فتح مكة.

صلح الحديبية:

بعد هزيمة الاحزاب في غزوة الخندق ستتغير موازين القوى، كما سبقت الإشارة إلى ذلك لصالح الدولة بالمدينة انتقل الرسول في سياسته الخارجية من مرحلة الدفاع إلى مرحلة التحدي، فبعد أن اطمأن إلى قوته وتفوقه على اعدائه غذا ينشد مهاجمة قريش وتحديها في عقر دارها، رغبة في القضاء على نفوذها. لذا قرر التوجه إلى مكة معتمرا في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة، فقد رحب المسلمون بدعوة الرسول لهم للخروج معه بلغ عددهم حوالي 1400 رجل من الأنصار والمهاجرين ومن لحق من الأعراب . وقد كان هدف الرسول إظهار قوة المسلمين ورغبتهم في زيارة مكة والقيام بالحج، فلما أحرموا وبلغ أهل قريش الخبر خرج معظم رجالها لصد محمد وأتباعه عن زيارة مكة أو قتاله إن رفض، فنزل الرسول بعد تغيير الطريق في مكان يسمى الحديبية أسفل مكة، - لقد تغيرت المعطيات لما أخبر الرسول قريش أنه لا يود قتالهم وأنه مستعد لعقد الصلح على أن يخلوا بينه وبين الناس- فجرت مفاوضات بين قريش والرسول انتهت بصلح الحديبية بعد أن تمت بيعة الرضوان تحت الشجرة فتم الاتفاق على عدة شروط من بينها أن تضع الحرب أوزارها بين الجانبين لمدة 10 سنوات، وأن يعود الرسول وأصحابه في ذلك العام دون العمرة ،في مقابل أن يحجوا في العام القادم،..إلتزام الرسول برد كل من يهاجر إلى المدينة من مكة بعد عقد الصلح ، حرية اعتناق الإسلام لمن شاء من القبائل وحرية البقاء على دين قريش لمن شاء. على أن يرد الرسول كل من يأتيه من قريش مسلما دون إذن وليه ، في حين لا تلزم قريش برد من يأتيها من عند محمد، وقد كان صلح الحديبية نصر سياسي لسياسة الرسول البعيدة المدى رغم أنه ظهر في وقته أنه هزيمة وتنازل للمسلمين حسب اعتقاد بعض الصحابة ولكن في العمق كانت فرصة لنشر الدعوة بعد الهدنة الموقعة والتمهيد لفتح مكة.

فتح مكة :

من الطبيعي بعد خسارة المسلمين في معركة مؤتة، أن يبدأ تفكير النبي بتعزيز وضعه الداخلي وتقويته انتشاره وتحصين مواقعه، ففكر في فتح مكة تمهيدا للتفرغ للثأر من الخارج لاحقا، وكان الحادث الذي أدى إلى نقض صلح الحديبية ووقف العمل ببنوده وأدى إلى مسيرة الرسول إلى مكة فاتحا، هو القتال الذي وقع بين بني بكر حلفاء قريش وبني خزاعة حلفاء المسلمين، وقد مضت قريش إلى حلفائها البكريين في هذا القتال، وزودتهم بالرجال والسلاح سرا. وقد شعرت قريش بخطر فعلتها ونقضها العهد فأرسلت ابو سفيان ليشد العقد ويجدده فرفض الرسول ذلك رغم مناشداته الصحابة للتوسط له. وقد توجه المسلمون في جيش كبير هو الأضخم لهم على الإطلاق في ذلك الوقت.

، وفي السنة الثامنة للهجرة فتح مكة فدخلها دون حرب بعدما أعطى الأمان لأهل مكة، وبعد أن حقق النصر الباهر جاءت قريش إلى الرسول معلنة إسلامها بين يديه وبايعته على السمع والطاعة. وبقي

الرسول في مكة بعد الفتح 15 إلى 20 يوما أشرف خلالها على تحطيم الاصنام بالكعبة والاصنام الخاصة الموجودة في البيوت. واهتم ببعض الامور الإدارية والتنظيمية .. وغيرها فكان لهذا الحدث وقع كبير على انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية وبسط نفوذ الدولة على هوازن وثقيف ونجران ومهرة وعمان ونجد واليمن، لما تقاطرت الوفود القبلية فسمي بعام الوفود.

معارك وصراع المسلمين ضد اليهود:

غزوة بني قينقاع: لما انتهت معركة بدر الكبرى في رمضان من السنة الثانية للهجرة رجع المسلمون إلى المدينة، وكان الرسول عاهد يهودها على أن لا يعلوا عليه أحدا وأن ينصروه إذا دهمهم بها عدو، فلما انتهت معركة بدر بالنصر للمسلمين تبين لليهود أن لا محيد لهم من مواجهة المسلمين رغبة في التخلص منهم بعد أن فشلت قريش في ذلك لكنهم استسلموا وكانوا في عداد سبعمائة شخص تم اجلاءهم عن المدينة، وغنم المسلمون ما كان لهم من مال.

غزوة بني النضير: في السنة الرابعة من الهجرة أجلى النبي يهود بني النضير من ديارهم، وكان سبب ذلك رفضهم المساهمة في دفع الدية لرجلين من بني عامر وكان لهم " جوار وعهد" عند المسلمين.

غزوة بني قريظة: حاول اليهود تجييش القبائل العربية ضد المسلمين في معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة ، ومباشرة بعد انتهاء هذه الغزوة توجه المسلمون لقبيلة بني قريظة عندما نقضوا العهد المبرم فحاصروها قرابة شهر حتى أرهق أهلها الحصار واستسلموا وتعرضوا للقتل.

غزوة خيبر: توجه الرسول إلى خيبر في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة، فنزل بوادي الرجيع للحيلولة بين أهل خيبر وبين قبائل غطفان الذين كانوا حلفاء اليهود ضد على المسلمين، فبذلك انفتح الباب أمام المسلمين لغزو خيبر، وبدأ رسول الله بالأموال يأخذها ويفتح حصون يهود الواحد تلو الأخر.

خاتمة: لقد تمكن الرسول محمد بن عبد الله من نشر رسالة الإسلام في قريش وفي الجزيرة العربية رغم الصعاب التي واجهته هو وأصحابه، وقد تمكن من التغلب عليها وإدخال قبائل الجزيرة العربية في الإسلام، كما تمكن من إقامة دولته في المدينة المنورة تحمل مفاهيم جديدة في المجال الديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي بعدما تمكن من توحيد القبائل وجمع الأنصار والمهاجرين وكذا توضيع العلاقة بين المسلمين واهل الذمة خصوصا اليهود في المدينة وكل هذه الانجازات تمثل عمق الحضارة العربية الإسلامية.

المحاضرة الخامسة: مقومات وخصائص الحضارة العربية الإسلامية

تعتمد الحضارة الإسلامية على أسس ومرتكزات ثابتة في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة فضلا عن التراث الحضاري العربي قبل ظهور الإسلام وهذا ساعد الإسلام الذي يتميز بتسامحه واعترافه بالنبوات السابقة ورؤيته الانسانية الشاملة، ان ينهل من الموروث الحضاري في كل البلدان التي فتحوها دون تعصب أو جحود وقد انصهرت هذه العناصر وامتزجت واغنت الانسانية بحضارة ظلت تمثل الحضارة العالمية خلال العصور الوسطى. إذن ما هي الأسس والخصائص التي قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية؟

أولا: الأساس الإسلامي:

لقد مثل الإسلام دينا جديدا يعتبر آخر الرسالات السماوية وهو دعوة روحية جاء بالتوحيد أي دعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد والبعد عن الشرك والانداد، لقد كان الإسلام ثورة سامية وشاملة انبنت على نظرة سياسية متوازنة ومتقدمة وبعد اقتصادي ينبني على العدل. ومن جهة أخرى قدم للبشرية مبادئ في تنظيم المجتمع مرتكزه التآخي والمساواة والعدل والقسط دون أن ننسى نظرة الإسلام للكون ودعوته لإعمال العقل والتدبر لمعرفة أسراره ، وتميز أيضا هذا الدين بنظرته الأخلاقية والجمالية مرتكزها الاعتدال. ويرى الفيلسوف الألماني ماكس موللر في كتابه مقدمة في تاريخ الأديان بقوله أن أكثر الأديان نجاحا هي أكثرها إرضاء للمطالب الروحية للإنسان وأكثرها فهما للأخطاء البشرية وعيوبها واكثرها واقعية في معالجة هذه الأخطاء والعيوب والأخذ بيد الانسان في طريق السمو الروحي والخلقي.

وعلى المستوى السياسي قدم الإسلام مبادئ ومعايير قوامها الشورى فهو صالح لكل زمان ومكان ،وعلى الصعيد الاقتصادي أسس الإسلام على مبادئ سامية وواقعية تتسم بالاعتدال وتستهدف العدل الاجتماعي والدعوة إلى العمل مصادقا لقوله تعالى(" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون")، وحارب الإسلام اكتناز الأموال وظاهرة الاحتكار ويعترف الإسلام بحقوق الملكية الفردية دون الاضرار بالمصلحة العامة، وفتح المجال للمنافسة، ورفض الاسلام ظاهرة الاستغلال والاحتكار بناء على قاعدة أن المال مال الله كل البشر فيه سواء فالرسول قد أشاع الماء والكلأ والنار لكل الناس. وعلى المستوى الاجتماعي رفض العصبية ودعا إلى الأخوة قال تعالى "(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ، ودعا الإسلام إلى المساواة وقد طبق مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عندما احدث دستور المدينة وقام بحسن معاملة المعاهدين من أهل الذمة. وفي مجال المعرفة ركز الإسلام على استخدام العقل والتجربة والتفكير وكرم العلم والعلماء فنظرة الإسلام تدعوا إلى الانسان إلى الإبداع والابتكار. واخلاقيا حرر الانسان من شرور نفسه وجعل الحسنة بعشر أمثالها والاخلاق عموما بنيت على أساس اختيار إنساني لعمل الخير والكف عن الشر. وجماليا قدم الإسلام مبادئ جديدة كمبدأ الاعتدال والوسطية. وعليه هذه بعض الأمثلة تعبر عما يتمتع به الإسلام من أسس اخلاقية ودينية وسياسية سامية شكل عنصرا أساس للحضارة العربية الإسلامية.

ثانيا: الاصول العربية:

لا شك أن العرب وغيرهم بعد ذلك هم من قاد عملية الفتح والتي ضمت امبراطورية مترامية الأطراف في حدودها من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وانتشروا في البلاد المفتوحة ومن ثم تحملوا مسؤولية تكوين دار الإسلام، فقد انتشرت جيوش الفتح في الأمصار الجديدة فضلا عن الهجرات المتنوعة من شبه الجزيرة العربية إلى البلدان المفتوحة إذ نقل العرب ثقافتهم وعاداتهم إليها، وتم تعريب البلدان المفتوحة واختلط العرب بغيرهم من الاثنيات البشرية عن طريق الزواج والتسري فقد سرت العروبة في دم هؤلاء، وانخرط الاتراك والهنود والفرس والسريان والاقباط والبربر والقوط في هذا الانصهار، الذي سيخدم الحضارة العربية الإسلامية ويزيد من اشعاعها في مجالات شتى. فبعد فتحهم لمختلف المناطق اندمجوا مع عناصرها المحليين ومارسوا الزراعة والحرف والتجارة، وهذا ساهم في الاندماج وتغلغل عملية التعريب وانتشار اللسان العربي هناك مشرقا ومغربا. ومن ثم انتشرت اللغة العربية وهي مواكبة لانتشار الإسلام. هذه اللغة التي أصبحت لغة العلم والفن والأدب ومن ثم حقق التعريب الإثني واللغوي والثقافي وحدة بين عناصر وقوميات مختلفة احتضنتها دار الإسلام.

ولعب العرب دورا أساسيا في مجال النظم الإدارية والعسكرية، حيث اهتم غير العرب بمجال الثقافة والفكر، ومع ذلك فيعتبر الكندي وهو عربي أول فيلسوف في الإسلام كما إن الخليل بن احمد هوأول من وضع ضوابط لقواعد اللغة والشعر وغيرها.

ثالثا: خصائص الحضارة العربية الإسلامية.

بالرغم مما تتسم به الحضارات عموما من خصائص مشتركة باعتبارها انجازا بشريا، فإن الحضارة الإسلامية لها خصوصيات تميزها عن باقي الحضارات، وهذا التميز قادم من بعدها الروحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية وهو الذي حفظ هذه الحضارة من المغلات في المادية ومطالب الجسد. وحتى نوضح الأمر أكثر يستحسن التعريف بهذه المقومات. ومنها القرآن الكريم وهو كلام الله المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد نزل على دفعات في مكة وفي المدينة إلى حين وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد دون القران من طرف الصحابة وشرع في جمعه في عهد أبي بكر الصديق، ولم يتم التدوين في شكلة الحالي سوى في عهد عثمان بن عفان، والقران الذي يتكون من سور مكية ومدنية كل سورة تتوفر على آيات قد تكون قصيرة أو طويلة حسب السياق والقرآن يتميز بالإعجاز البلاغي لأنه افحم الشعراء وأصحاب النثر ولم يستطيعوا الإتيان بمثله رغم محاولات المغرضين والمشككين فيه. والقرآن يترك تأثيره في صفوف الأميين حتى بل وحتى غير المسلمين أيضا وقد اعترف بذلك المفكر ريسلر مؤرخ الحضارة بقوله أنه له بعد تطهيري يترك صداه في صدور غير المسلمين، ومن اعجازه الاخبار بأمور مستقبلية تحققت بالفعل مثل مصير الصرع الفارسي البيزنطي حيث انتثر الفرس أولا فتنبأ القرآن بهزيمتهم وانتصار الفرس بعد ذلك قال تعالى في محكم تنزيله :"(غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون.) ، والقرآن الكريم يظل معينا لا ينضب ففيه الحقائق العلمية التي أثبتها العلم ومنه انبثقت مختلف العلوم الشرعية وعلم القراءات وغيرها..وهذا ما جعل العديد من المستشرقين يهتمون بالقرآن الكريم.

السيرة النبوية: وهي المصدر الثاني للتشريع وهي ما أثر عن النبي محمد عليه السلام من قول أو فعل ولاشك أن الرسول كان شارحا لكتاب الله وموضحا لمعانيه ومقاصده، بل كانت افعاله وتصرفاته تنطلق من كونه نبي مرسل ومسدد بالوحي الذي هو القرآن الكريم وكان مثبتا من عند الله وثمة آيات كثيرة تشير إلى مكانة الرسول وخصاله وقيمه بل ومنزلته عند الله ومكانة أقواله والله كان يقرن طاعته بطاعة الرسول، واتباعه باتباع الرسول فيما جاء به. لكن الذي حدث بعد مدة من الزمن لم يدون الحديث سوى في سنوات متأخرة من نهاية القرن الثاني الهجري والقرن الثالث وقد ظهر رواة الحديث من الصحابة ثم التابعين وتابعي التابعين وهذا ما اصطلح عليه بالسند ثم المتن، وهنا برزت الحاجة إلى تدوينه بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي وظهور الفرق وانتحالها لأحاديث لتبرير مواقفها وذيوع الاسرائيليات واختلاطها بالتراث وكيد الزنادقة والملاحدة للإسلام، وتعسف الفقهاء في انتحال احاديث لمواجهة الزنادقة ، كل هذه كانت دوافع كافية لتدوين الأحاديث النبوية بعد تنقيتها من الأحاديث الموضوعة مطبقين عملية الجرح والتعديل . ومن أهم كتب الحديث التي ظهرت ، البخاري ومسلم وأبو داود والترميذي والنسائي وابن ماجة.

الاجتهاد: وقد شكل الاجتهاد المصدر الثالث للتشريع الذي اتاح المرونة لاستمرارية هذه الحضارة ومواجهة المتغيرات على أساس القرآن والسنة ، وعموما فالاجتهاد محكمون بضوابط ومعاييره تحميه من الخطأ والزلل.

وعموما يمكن القول إن الاجتهاد اعطى لحضارة الإسلام مقومات الاستمرار والبقاء زمنا طويلا لكن تراجع هذه الحضارة ناجم عن التخلي عن القرآن والسنة والاجتهاد. ومن خصائص الحضارة الإسلامية أنها تميزت بطابع الشمول تشمل الجانب الروحي والمادي، واسمت بطابع التسامح مع أهل الذمة وغيرهم وفتحت المجال للإبداع دون تعصب او احتكار. كما اختصت الحضارة الإسلامية عدم عنصرية فقد ساوى الإسلام بين الشعوب رغم اختلاف الالوان والعرق واللغة فاعتبر المعيار الوحيد للقياس هو التوحيد والتقوى إنا أكرمكم عند الله اتقاكم. كما تجاوزت هذه الحضارة مفهوم الحدود والجغرافيا فهي انسيابية لا تعير اهتمام لذلك ومن ثم فنور هذه الحضارة شمل دار الإسلام وحتى دار الحرب. وهذه الحضارة تميزت بخاصية التنوع في إطار الوحدة وبالطابع العملي واختصت أيضا بالطابع الإنساني.

هذه جملة من المقومات والخصائص التي ميزت الحضارة العربية الإسلامية وجعلتها تستمر وتشق طريقها في مجالات جغرافية بعيدة شملت مختلف القارات كما انها شقت القلوب والعقول ونفذت إلى الروح البشرية وجعلتها تعتنق هذا الدين الإسلامي وتتأثر بهذه الحضارة الانسانية والشمولية التي جمعت بين مطالب الروح ومطالب المادة.

المحاضرة السادسة

نظام الحكم في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية

يعبر نظم الحكم عن الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة حيث تحل القوانين والنظم والرسوم محل الاعراف. وقد تميز العالم الاسلامي بنظمه التي كانت مزاجا من التصور القرآني وتجربة حكومة المدينة في عهد الرسول والنظم الموروثة عن الحضارات القديمة فضلا عن المعطيات التي أفرزها المجتمع الإسلامي والتي كانت تخضع لمنطق التغيير المستمر. هذا بالإضافة إلى ما لعبته النظم العربية قبل الاسلام من تأثيرات خصوصا في العصر الأموي.

أولا: النظام السياسي ويشمل الخلافة والوزارة والكتابة.

1 - الخلافة

عرف ابن خلدون الخلافة بقوله: "الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها. فأحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة. فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا". وتأسيسا على ذلك اختلف الدارسون حول ما إذا كانت الخلافات نظاما دنيويا او نظاما دينيا. وأصحاب الاتجاه الاول يذهبون إلى أن الطابع الزمني هو الذي يطبع الخلافة بطابعه، ذلك أن الرسول (ص) باعتباره آخر الانبياء ما كان لأحد أن يرث دوره الديني. كما أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يحددا نظاما بعينه في رئاسة المسلمين، اللهم إلا إشارة إلى مبدأ الشورى الذي يمكن تكييفه وفقا لمقتضيات الحال. أما أصحاب

الاتجاه الاخر فيرون أن الخلافة نظام شرعي تأسيسا على أن الاسلام عقيدة وشريعة، أن من واجب الخلافة حماية الدين إلى جانب سياسة الدنيا. ولعل هذا الخلاف هو الذي فجر الصراع الدامي على الحكم طوال عصور التاريخ الاسلامي؛ حتى ليذكر الشهرستاني: "ما سل سيف في الاسلام كما سل بسبب الخلافة". وقد اشترط الفقهاء شروطا معينة يجب أن تتوفر في الخليفة. وهي العلم والدين وسلامة الحواس. وإن اختلفوا في أمور أخرى إذ يضفي الشيعة مثلا صفة العصمة على أئمتهم. وقد تعددت ألقاب الخليفة ما بين "خلافة" و "إمامة" و"إمارة المؤمنين". وهذا التعدد يعكس صفة الاجتهاد من لدن فقهاء الامة. فالمفهوم الأول يوضح رأي السنة الذين يرجعون اصطلاح "الخلافة" إلى القرآن الكريم؛ إذ وردت به كلمة "الاستخلاف" وقد فسرها البعض بانها تعني خلافة الله على الارض. كما استثمرها الخلفاء الذين حاولوا توسيع سلطاتهم وصلاحياتهم إلى حد إضفاء صفة القداسة على أنفسهم.

ذكر الخليفة عثمان بن عفان أن الخلافة "قميص ألبسه الله إياه" لا يحق للمسلمين خلعه أو تنحيته. وبالمثل قال أبو جعفر المنصور "إنما أنا ظل الله على الارض" وهو قول يفيد الحرص على الجميع بين المهام الدينية والدنيوية؛ مقتربا بذلك من نظرية التفويض الالهي الفارسية. وهناك من أهل السنة من ذهب إلى أن " الاستخلاف" يعني خلافة رسول الله (ص) وليس الله سبحانه وتعالى. حتي أن أبا بكر نص على أنه خليفة رسول الله، وعمر قال بأنه خليفة خليفة الرسول. ثم اجتهد عمر فصاغ اصطلاح "أمير المؤمنين" الذي استخدمه السنة والشيعة معا. أما لقب "الامامة" فقد تفردت به فرقة المعارضة وخاصة الشيعة وهذا المصطلح يوضح كيف أن مهمة الحكم "ركن من أركان الدين" وأن الحاكم أو الامام لا يمكن أن يفوض اختياره إلى الامة ولذلك فقد قال الشيعة بمبدأ "النص والتعيين" أي اشترطوا ان يكون الامام من بني علي وفاطمة. أما السنة فقد توسعوا حين اشترطوا ان يكون الخليفة من قريش وان يجري اختياره على اساس الشورى. أما الخوارج فقد توسعوا اكثر فجعلوا المنصب حقا لكل مسلم بغض النظر عن أصله وعرقه ولونه. لذلك أسماهم البعض "جمهوريو الاسلام".

واتخذ المرجئة موقفا تبريريا حين اعترفوا بسياسات الأمر الواقع دون أن يضعوا أية شروط؛ حتى لقد اعترفوا بشرعية حكم بني أمية رغم اغتصابهم الخلافة قسرا. أما المعتزلة فقد اشترطوا أن يكون الخليفة عادلا. ولعل هذه الاختلافات هي التي جعلت نظام الخلافة تختلف أصوله ورسومه من عصر إلى عصر؛ بل ربما من خليفة إلى آخر. هذا عن الجانب النظري في الموضوع. أما عن حقيقة ما جرى تطبيقه فيمكن تلخيصه بإيجاز على النحو التالي: في عصر الراشدين؛ لم تكن هناك قواعد ثابتة في اختيار الخلفاء؛ اذ اختلفت طريقة اختيار كل خليفة. فقد جرى اختيار أبي بكر بعد جدل طويل بين المهاجرين والأنصار حسم لصالح المهاجرين، ثم بايعه كافة المسلمون بعد مبايعة كبار الصحابة الذين يمثلون "أهل الحل والعقد". واختار أبو بكر عمرا بعد مشورة كبار الصحابة ومبايعة المسلمين كذلك، وأوكل عمر الأمر من بعده إلى مجلس يتكون من ستة من الصحابة اتفقوا بعد موت عمر على اختيار عثمان، كما بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان. وإذا كان هناك من قواعد تميز حكم الراشدين فهي اعتبار الخلافة مسؤولية وعبئا، باستثناء عثمان الذي اعتبرها حقا مقدسا. لذلك لم يعهدوا إلى أبنائهم بالخلافة قط. وهذا يعني تميز عصر الراشدين بمبدأ عدم التوريث ولما كان الخلفاء الأربعة من قريش، ترسخ لدى أهل السنة مبدأ الخلافة في قريش.

الخلافة في عهد بني أمية :

بظهور الدولة الأموية انتقلنا من الخلافة الراشدة إلى الخلافة الإسلامية الكبرى التي اصبحت معالمها تبرز بعد انتقال الحكم من نظام الشورى إلى نظام الحكم الوراثي ، والأمويون الذين حكموا حوالي قرن من الزمن هم الذين وضعوا القاعدة الأساسية للنظام السياسي، ووسعوا دائرة الدولة حتى بلغت الأندلس غربا ، والهند وتخوم الصين شرقا. وقد استمرت الدولة العباسية على نفس نهج الدولة الأموية بعدما أزاحتها عن الحكم سنة 132 هـ محاولة تثبيت أركانها بعص الصراع الطويل الذي دار بين الجانبين حول السلطة.

لقد أقر معاوية نظام الحكم الوراثي في الإسلام لأول مرة، وتخلى عن نظام الشورى، فأسند ولاية العهد لابنه يزيد ، وحكم البلاد بالاعتماد على تجربته السابقة ودهائه السياسي، إذ كان كاتبا للرسول ، ووواليا لعثمان على الشام قبل ذلك. ولما أصبح أول خليفة أموي لقي معارضة متنوعة خاصة من الشيعة والخوارج. وحتى يكون بين أنصاره ويبتعد عن معارضيه في العراق والحجاز نقل عاصمته إلى دمشق، ومنها حكم البلاد بطريقته الخاصة ، وجد لنفسه حلفاء من أسرته حيث استغل المنافسة القديمة بين الهاشميين والأمويين، وهم أبناء أعمام يجتمعون بنسبهم في عبد مناف، كما ضم عرب الشام، فتقرب إليهم بالمصاهرة واسترضاهم بالمال، وسلك نفس الخطة مع عدد من الزعماء والقادة العسكريين مثل عمرو بن العاص فاتح مصر، والمغيرة بن شعبة والي الكوفة، وأمكنه بكل سهولة أن ينحي الحسن بن علي عن الخلافة بعد مفاوضات وترضيات، وأن يتولى هو نفسه المنصب الأسمى في الدولة سنة 41 هـ- 661 م.

واتخذ معاوية دمشق عاصمة له رغبة في البقاء وسط انصاره والابتعاد عن أهل الحجاز المعارضين لخلافته, وقد نتج عن تغيير العاصمة إضعاف نفوذ الجزيرة العربية ولم يبق لقريش ولا لعرب الحجاز مجال للتدخل في الحكم المركزي بصفة مباشرة، فتحررت الدولة الأموية من الضغوط بل وستعتمد العصبيات ال اقليمية والقبلية في تسيير سياساتها، وعلى المستوى الحضاري سهل تدفق التأثير الحضاري البيزنطي والفارسي إلى تنظيمات الدولة وإلى الفنون والعمارة ومختلف المجالات.(أنظر المحاضرة القادمة . وقد اسند معاوية في نهاية حياته ولاية العهد لابنه يزيد ومن ثم فقد سن النظام الوراثي بدل النظام الشوري، ومن أهم نتائج هذا النظام عموما : استبداد الخليفة بمساعدة أعوانه ودواوينه وعدم اللجوء إلى الشورى إلا نادرا. واعتمد الخلفاء على أسلوب الشدة واستعمال القسوة والسلطة الكاملة في تدبير شؤون الدولة (نموذج العالم سعيد بن المسيب مع الحجاج بن يوسف الثقفي)

وعموما بوصول الأمويين إلى الحكم - عن طريق الغلبة والقوة- وتراجعهم عن مبدأ الاختيار إلى مبدأ التوريث انتهك مفهوم الخلافة " الثيوقراطية" ، وهذا يفسر لماذا شبهت الخلافة الأموية "بالهرقلية" حيث احتكرت الأسرة الحاكمة منصب الخلافة، لقد تحولت إلى ملك "جبري" كما -يقولون- رغم الابقاء على صيغة " البيعة" شكليا، إذ حلت العصبية محل التدين والعلم واعتمد الخلفاء على الأساليب السياسية كالغدر والوقيعة والبطش والإرشاء لضمان البيعة، بل لم يتورع بنو أمية عن التخلص من مخالفيهم الذين لم يبايعوا سواء عن طريق الحرب أو عن طريق الحيلة، إذ كان معاوية يتخلص من خصومه بدس السم في العسل ثم يتشدق بقوله: " إن لله جندا من عسل".

وفي العصر العباسي استمر الحكم الوراثي الذي اتخذ مسحة مقدسة، باعتبار العباسيين من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم. كما تطبعت الخلافة بالطابع الفارسي في نظمها ورسومها. فقد استمرت ولاية العهد الموروثة عن العصر الأموي، وجرى اسنادها لأكثر من واحد من أبناء الخلفاء، واحتجب

الخليفة عن الرعية إظهارا للهيبة والجلال، وتعقدت نظم البلاط ورسوم السلطة بحيث جمع الخليفة في يده كافة السلطات واتخذ الحكم طابعا مركزيا صرفا.

وفي العصر العباسي الثاني استمرت قاعدة الوراثة رغم تطاول العسكر الذين أهدروا رسوم الخلافة فكانوا يتحكمون في تعيين الخلفاء وعزلهم، وكثيرا ما اعتدوا على الخلفاء بالقتل وسمل الأعين وجدع الأنوف وقطع الأذان لتبطل خلافاتهم.

وابتدع العسكر منصبا جديدا هو "إمرة الأمراء"، بمقتضاه يجمع صاحبه بين كافة السلطات السياسية والإدارية والعسكرية. وفي زمن بني بويه أبقى على الخلافة العباسية السنية نظريا بعد أن جردت من صلاحياتها، وآلت تلك الصلاحيات إلى السلاطين البويهيين الشيعة، وقد اتخذ هؤلاء السلاطين ألقابا تفخيمية مثل" شاهنشاه" أي ملك الملوك، وضربوا أسماءهم على السكة وخطب لهم على المنابر، وقرعت الطبول في بلاطاتهم خمس مرات في اليوم.

وبالمثل ضعفت الخلافة العباسية في عصر السلاجقة رغم اعتناق الأخيرين المذهب السني، وأصبح السلطان السلجوقي صاحب الحول والطول بعد أن عجز الخلفاء عن استرداد هيبتهم. وظل الحال على هذا المنوال حتى سقطت الخلافة العباسية سنة 686 هـ على إثر الغزو المغولي.

عول المماليك على احياء الخلافة العباسية السنية في القاهرة كي يكسبوا حكمهم صفة الشرعية، على أن الخليفة العباسي في ظل السلطنة المملوكية لم يمارس سلطانه البتة، فلم يعد له من صلاحيات إلا المشاركة الشكلية في الاحتفالات الرسمية.

وفي العصر العثماني جمع السلاطين بين السلطنة والخلافة لتبرير سيطرتهم الفعلية على معظم أرجاء العالم الإسلامي، وظل الحال على هذا المنوال حتى ألغى كمال أتاتورك نظام الخلافة نهائيا سنة 1924.

إذا كانت الخلافة تعني حكم العالم الإسلامي بأسره نظرا لاعتقاد المسلمين بالبيعة لخليفة واحد، فإن هذا الاعتقاد كان قد بطل بصورة علمية على إثر ما جرى من تجزئة الخلافة الإسلامية بعد أن أعلنت الخلافة الفاطمية سنة 297 هـ، والخلافة الأموية بالأندلس سنة 316 هـ، ومعلوم أن بعض أمراء الاستيلاء الذين انسلخوا عن الخلافة العباسية إبان العصر العباسي الأول أعلنوا أنفسهم" أئمة" فدول الخوارج التي قامت في بلاد المغرب في القرن 2 الهجري، اتخذ أمراؤها ألقاب الإمامة ولم يعترفوا بخلافة بني العباس، وعلى نفس الدرب سار أمراء الأدراسة العلويين بالمغرب الأقصى، فلم يعترفوا إلا بأئمة حكامهم من الزيدية. وكان هؤلاء الأمراء المستقلون يطمحون إلى تحقيق وحدة العالم الإسلامي تحت خلافة تدين بمذهبهم. وهذا يعني أن مصير الخلافة الإسلامية آل إلى الضعف منذ القرن الثاني الهجري. لكن استمرارها- شكليا- كان رهين اعتقاد جماهير المسلمين بضرورة وجودها كنظام. ولا تزال هذه الجماهير تتطلع في الوقت الحاضر إلى إحياء نظام الخلافة، انطلاقا من رغبة وطموح إلى إعادة وحدة دار الإسلام.

2 الوزارة : تم اشتقاق هذا النظام من كلمة المؤازرة التي تعني المساعدة وقد جاء في القرآن الكريم ما يفيد ذلك مما جاء على لسان موسى عليه السلام: " واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري"، وهذا المنصب ظهر مع العباسيين، ومن الناحية العملية فقد كان موجودا منذ عهد

الرسول فقد ساعد الصحابة محمد عليه السلام في كثير من الأمور والاسترشاد بمشورتهم، بل حتى الخلفاء الأربعة كانوا يكلفون من يساعدهم من الصحابة أثناء فترة حكم كل واحد منهم.

وعند الأمويين فإن الوزارة كمنصب رسمي أخذ عن الفرس مع ظهور العباسيين، فقد اعتمد العباسيون على تعيين وزراء قبل قيام دولتهم فقد عينوا أبي سلمة الخلال وزيرا لآل محمد خلال مرحلة الدعوة العباسية، وبعد وصول العباسيين إلى الخلافة استعانوا بوزراء مؤهلين من الفرس والعرب ، وخير دليل ما لعبه البرامكة وبني سهل من الفرس في العهد العباسي الأول، ومن العرب أشتهر الفضل بن الربيع كوزير للرشيد. والماوردي ميز بين نوعين من الوزارة وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ، وزارة التفويض تقتضي اعطاء سلطات واسعة للوزير في القضايا الإدارية والعسكرية والسياسية والمالية، أما وزارة التنفيذ فمعناها أن يعهد الخليفة إلى الوزير بتنفيذ أوامره في قضايا الجيش أو المال أو بعض الشؤون الإدارية، وتكون مهامه مقيدة.

وقد ظهر منصب الوزارة في الإمارات المستقلة التي أدعى حكامها الإمامة، إذ عينوا الوزراء في اماراتهم تشبها ببني العباس. مصداق ذلك وجود منصب الوزارة في الدول الرستميين والأدارسة وأمراء الأندلس باسم "الحجاب" ، وقد زاد نفوذهم حتى سلبوا الخلافة صلاحياتها إبان عصر "الحجابة العامرية"، وقد زاد نفوذ الوزراء في أوائل العصر العباسي الثاني لضعف الخلفاء واعتماد قواد العسكر على الوزاراء لتسيير أمور الدولة نتيجة عجزهم الإداري وقلة خبرتهم في السياسة والحكم. وقد بلغ التنافس على تولي الوزارة في هذا العصر إلى حد التنافس من أجل الجاه والنفوذ بدفع الرشاوي والهبات لقادة العسكر في سامرا ، ومن أهم وزراء هذا العصر علي بن عيسى وحامد بن عباس وبن مقلة الذين لم يسلموا من بطش قادة العسكر خصوصا، بعد ظهور منصب إمارة الأمراء. ذلك أن أمير الأمراء جمع في يده سلطة الخلفاء والوزراء معا. وعلى ذلك أصبحت الوزارة في أواخر هذا العصر نكبة تحل على من تولاها، إذ انحسرت مهمة الوزراء في إشباع نهم أمير الأمراء في الحصول على الأموال وكثيرا ما صودر الوزراء وقتلوا وسجنوا وقطعت اطرافهم لعجزهم عن الوفاء بمطالب قادة العسكر. وعلى ذلك حرص وزراء هذا العصر – دفاعا عن حياتهم- على اشباع نهم قادة العسكر على حساب الرعية.

استرد منصب الوزارة مكانته في ظل البويهيين. إذ حرصوا على اختيار وزرائهم ممن أوتوا مكانة علمية ومقدرة إدارية، ومن أشهر وزراء هذا العصر ابن العميد والصاحب إسماعيل بن العباد اللذان حرصا على إقرار العدالة وإدارة أمور الدولة باقتدار.

واستمر الحال على هذه الشاكلة في عصر السلاجقة، إذ كبر حجم الوزراء حتى أنهم تدخلوا في تعيين السلاطين. وقد برز في هذه الفترة الوزير المشهور" نظام الملك" الذي كانت له حصانة سياسية وخبرة إدارية عالية كانت من أسباب قوة وعظمة السلاجقة. في عهد آلب آسلان وملكشاه. هذا بالإضافة إلى دورة الثقافي الهام حين أنشأ " المدارس النظامية" المشهورة لترويج المذهب الأشعري السني. وكذلك عرف الوزير ابن هبيرة بالعلم والتأليف والشعر فضلا عب براعته في تدبير أمور الدولة وضبط شؤون السلطنة، كما عرف الوزير أبو شروان خالد ابن القاشاني بالتواضع الجم. وحسبه أن الحريري صنف له المقامات المشهورة. ولما عم الفساد أواخر العصر العباسي انعكس اثره على الوزراء. خير مثال ما روي عن الوزير الخائن العلقمي الذي تعاون مع المغول في غزو بغداد.

3 الكتابة:

عرف من يشرف على الدواوين باسم الكتاب، ابتداء من عهد عمر بن الخطاب الذي كان أول من دون الدواوين. وقد اتفق الدارسون على أن عمر أسس خمسة دواوين (سبق ذكرها في محاضرة سابقة)هي ديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الجند وديوان الشرطة وديوان القضاء. واتفقوا أيضا على انه استفاد في هذا المجال بالنظم الفارسية، وإن اضفى عليها الطابع الإسلامي عندما حولها من نظام للابتزاز إلى مؤسسات لإقرار العدالة. وبالمثل استمر العمل في الدواوين يجري باللغات المحلية، الفارسية في إيران والعراق ، واليونانية في الشام ، والقبطية في مصر. وفي عهد عبد الملك بن مروان الاموي جرى تعريب الدواوين إذ اشترط على الكتاب من أهل الذمة ضرورة تعلم اللغة العربية من أجل الاحتفاظ بمناصبهم. وفي العصر العباسي تعقدت النظم الدواوين فكان هناك دواوين مركزية في بغداد لها فروعها في الولايات. وكثر عدد الكتاب الذين كانوا في الغالب من الفرس، وكان لهم ملابس وشارات ورسوم خاصة تميزهم. وفي هذا العصر ابتكر أسلوب الكتابة الديوانية الذي وضع اصوله عبد الحميد الكاتب ، وبلغ أوجه على يد ابن العميد وزير بني بويه.

ثانيا:النظام الإداري:

نجح العرب إبان خلافتي أبي بكر وعمر في تأسيس إمبراطورية ضمت أملاك الفرس في إيران والعراق كما انتزعوا الشام ومصر من البيزنطيين. وفي العصر الأموي اتسعت الامبراطورية شرقا لتضم التركستان وبعض أقاليم الهند، كما ضمت بلاد المغرب والأندلس غربا. وقد بدأ التنظيم الإداري لهذه الامبراطورية في خلافة عمر بن الخطاب الذي استرشد بتجربة حكومة الرسول في المدينة، حينما اتخذها عاصمة وعين على أقاليم شبه الجزيرة العربية ولاة من شيوخ القبائل طالما اقتنعوا بالإسلام. ويرى أحد الدارسين أن الرسول (ص)، أسس دولة تمتع ولاتها باستقلال ذاتي مع الاعتراف بسيادة حكومة المدينة. لكن بعد اتساع دار الإسلام في عهد عمر جدت معطيات استوجبت تقديم حلول لإدارة دولة مترامية الاطراف لم يجد بدا من الاستفادة من النظم الفارسية والبيزنطية بعد أن اعطاها مسحة اسلامية ، وقد أبقى على التقسيمات الإدارية القائمة إذ جعل "الكور" أساس التنظيم الإداري في مصر، كما جعل "الرساتيق" عصب التقسيم الإداري في فارس والعراق. أما الشام فكان يخضع لنظام" الأجناد"، نظرا لقربه من الخطر البيزنطي وقد عين عمر على كل منطقة ولي ممن عرف بالاجتهاد والرأي ، الذين حرصوا على تنفيذ التشريعات وتحقيق العدالة للناس. وعرف عن عمر أنه كان يحاسب عماله حسابا عسيرا، فكان يحصي أموالهم قبل الولاية ويصادر ما استجد عليها أثناء ولايتهم. وفي عهد عمر أضيفت إلى مهمة الولي الذي كان يقوم بالإمامة في الصلاة فقط مهام أخرى كقيادة الجيش .. وقد بلغت الأقسام الإدارية في عهد عمر ثمانية وهي مكة والمدينة والشام والجزيرة والبصرة والكوفة ومصر وفلسطين، وكان لكل أمير مقر دائم عرف باسم " دار الإمارة" ويخضع لنفوذه عدد من العمال يتولون إدارة عمالات الولاية. وكافة الولاة كانوا عرب خلال عصر الخلفاء الراشدين والأمويين. ولما توسعت الدولة في عهد الامويين قسمت إلى عدد من الولايات وهي: الولاية 1 تشمل الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب، الولاية 2 تشمل مصر والنوبة، والولاية 3 تضم العراق وعمان والبحرين وكرمان وسجستان وكابل وخرسان وبلاد ما وراء النهر والسند وكان الوالي يقيم في الكوفة ويبعث عماله لمختلف النواحي، وضمت الولاية 4 بلاد الجزيرة وتتبعها أرمينية وأذربيجان وبعض نواحي آسيا الصغرى، والولاية 5 فهي افريقية وتشمل سائر بلاد المغرب والأندلس كانت خاضعة لوالي مصر ثم استقلت عنه. ثم انسلخت الأندلس . وفي العصر العباسي تقلصت أعداد هذه الولايات عندما استقلت معظم بلاد شمالي افريقيا والأندلس عن نفوذ بغداد.

ثالثا :النظام المالي و الاقتصادي في الحضارة الإسلامية ::

لاشك أن الإسلام اعتنى بالأمور المالية فقدم عدة مبادئ واحكام ثابتة في كثير من القضايا وقد التزم بها الرسول أثناء وضع دستور المدينة واجتهد في تفسير المبادئ وأضحت اجتهاداته سنة التزم بها الخلفاء الراشدون كما اجتهد الفقهاء حول تفصيلات أمور المال وجبايته حسب مقتضيات الحال. ويعتبر كتاب الخراج الذي أعده القاضي أبو يوسف وسلمه للرشيد وثيقة هامة في هذا الشأن. كما استفاد الخلفاء من النظم الفارسية والبيزنطية وقد أضفو عليها طابع الدين الجديد فكان بيت مال المسلمين يشبه وزارة المالية. ومن أهم موارد بيت المال : الخراج- عشور الأرض- الجزية- الزكاة- الفيء والغنيمة- عشور التجارة – مواد أخرى مثل أموال اللقطة التي لا يعرف لها صاحب وكذا أموال من مات دون أن يترك وريثا والأموال التي صالح عليها المسلمون أعداءهم وهي أموال تذهب إلى بيت مال المسلمين.

أما أوجه إنفاق هذه الأموال فكانت تصرف في الوجوه الآتية أرزاق الولاة والعمال والقضاة وسائر الموظفين، وأرزاق الجند ونفقات مشاريع الري وشق القنوات النفقة على السجون والأسرى والمعدات الحربية والعطايا والمنح للأدباء والمفكرين والعلماء . فعموما فالسياسة المالية قد اختلفت من عصر لعصر ومن خليفة لخليفة.

تنطلق محاولة التعرف على التنظيم الاقتصادي من خلال دراسة سمات المجتمع التجاري القرشي وتناقضاته الاقتصادية والاجتماعية وهنا تبرز أهمية العامل الجغرافي في فهم الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية والأقاليم الإسلام على حد قول الباحث الحبيب الجنحاني، والذي اعتبر أن عصب الاقتصاد في هذه المنطقة يعتمد على نشاط المزارعين المستقرين في الواحات في الشمال والوسط مثل المدينة وخيبر وفدك، ومدائن صالح وتبوك، أو في منطقة اليمن والمناطق الخصبة على سواحل البحر الأحمر وبحر عمان. كما يعتمد على النشاط الرعوي ويشمل تربية الماشية والمساهمة في قوافل النقل. دون أن ننسى تجارة القوافل التي كان القرشيون زعماءها وهي في الأصل تجارة بعيدة تربط بين التجارة البحرية في الموانئ الجنوبية للجزيرة والمناطق الساسانية والبيزنطية في الشمال، وهي من أخطر المناطق في التجارة الدولية في ذلك الوقت، حيث أضحى العالم الإسلامي يمثل وحدة دينامية بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط أو بمعنى آخر منطقة اقتصادية موحدة متكاملة تحت راية الإسلام كما ذهب إلى ذلك الباحث الحبيب الجنحاني. وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن السمة المركزية لاقتصاد الجزيرة العربية ما بين القرن 1هـ و40 هـ، ويجب عدد من الدارسين أن الاقتصاد الرعوي هو السائد مع أهمية النشاط التجاري الذي اقتصر على أسواق المدن الرئيسية في الحجاز مثل مكة والمدينة وعلى أسواق الأمصار الإسلامية الجديدة. ولا غرو أن المفاهيم الاقتصادية الجديدة تمثل أصلا من أصول الرؤية الإسلامية للمجتمع مع العلم أنها تأثرت بطبيعة الاقتصاد قبل البعثة، ومع ذلك فقد جاء الإسلام بنفس اقتصادي جديد مع ظهور مفاهيم جديدة أيضا كالغنيمة حيث كانت أول غنيمة غنمها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، هي غنيمة سرية عبد الله بن جحش سنة 2 للهجرة. وفي أثناء معركة غزوة بدر في السنة نفسها خرج رسول الله صلى الله عليه السلام إلى الناس فحرضهم ونقل كل امرئ منهم ما أصاب. وقد نزلت سورة الأنفال لتفصيل أمر الغنائم وطريقة توزيعها. تم هناك مفهوم الصدقة حيث فرضت الصدقات من السنة التاسعة للهجرة .

إن تنظيم شؤون الاقتصاد في المجتمع الإسلامي ينطلق من ضرورة التوفيق بين احترام ثمرة المجهود الشرعي للفرد ومصلحة المجتمع وما يترتب على ذلك من القضاء على الثراء الفاحش والتناقضات الاجتماعية التي تتسبب في اتساع الهوة بين الفئات الاجتماعية. وقد اتخذ الإسلام من الصدقة وسيلة إلى توزيع الثروة توزيعا أقرب ما يكون إلى العدل الاجتماعي. ونظرا لاتساع رقعة الدولة الإسلامية اتجه الخلفاء خصوصا عمر ابن الخطاب إلى انشاء الدواوين(وسنفصل فيها في محاضرة قادمة)، وقد وضعت معايير دقيقة للتحكم في مالية الدولة وحسن صرفها وعدم تبذيرها أو اختلاسها واستغلالها في طرق ووجوه غير مشروعة وغير مستحقة .وعموما إن النظام المالي في الإسلام يمثل أحد شواهد ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في تلك المرحلة التاريخية.

رابعا: النظام القضائي:

كان النظام القضائي في الإسلام منبع اعتزاز ذلك أن الشريعة حرصت على إقرار مبدأ العدالة واتسمت بالمرونة بما يتوافق وطبيعة الحياة المتغيرة فقد كانت مصادر التشريع هي القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد.. والرسول محمد (ص) كان هو قاضي الجماعة إليه يعود الفصل في المنازعات والقضايا بين المسلمين وغيرهم.

وفي عهد الخلفاء الراشدين لم يكن للقضاء كتاب أو سجل تدون فيها الأحكام لأن الأحكام كانت تنفذ فورا وكان القاضي يبث في التنفيذ بعد أن يحكم هو في القضية، وكان يستشير الفقهاء للإفتاء في بعض المسائل...، ففي خلافة عمر بن الخطاب ظهرت وظيفة القاضي حيث أصبح القضاء خطة شرعية فقد أرسل قضاته إلى الأمصار ونصحهم برسالة عبارة عن وثيقة قضائية غاية في الأهمية. تمثل دستورا قضائيا يضع تحقيق العدالة في المقام الأول ويحدد مصادر التشريع في القرآن والسنة والاجتهاد (فقد اشتهر عمر بالعدل). وفي العصر الأموي تأثر القضاء بالقانون الروماني وهذا يعود إلى طبيعة الحكم الأموي الذي هو أقرب إلى الملك منه إلى الشورى ونتيجة ذلك فقد انتشر الظلم وقامت الثورات الاجتماعية بسبب افتقاد القضاة للعلم والدراية واحتكامهم للهوى.

وفي العهد العباسي كان الخلفاء يعينون قاضي القضاة الذي كان يعين قضاته في الولايات بعد موافقة الخليفة، وظهرت دار القضاء ابتداء من حكم العباسيين وكانت المحاكم تتألف من القضاة ونوابهم وشهود العدول والموقعين- الذين يكتبون الأحكام ويسجلونها- إضافة إلى الحجاب الذين يقدمون المتخاصمين إلى ساحة القضاء.

وقد ظهر نظام الحسبة حيث يتولى المحتسب النظر في القضايا التي تتطلب سرعة الحسم، فضلا عن قيامه بالحفاظ على إقرار النظام العام. وغالبا ما جمع شخص واحد بين القضاء والحسبة ويعود الفضل إلى عمر بن الخطاب في اقرار هذا النظام الذي كان سائدا عند الرومان، وقد تحول هذا النظام من كونه اخلاقيا إلى مهمة الضبط الاجتماعي. ونظام الشرطة كذلك كان يرتبط بنظام القضاء فضلا عن وظيفة تحقيق الأمن وحفظ النظام المنوطة به. وعموما فالنظام القضائي تأثر بالسياسة العامة للخلفاء والسلاطين وتأرجحت بين تطبيق العدالة والاخلال بها خاصة في عهد الحكام الظلمة..

خامسا: النظام الحربي:

الحرب في الإسلام تكتسي مفهوم انساني ولهذا حرم الإسلام الغزو من أجل العدوان والسلب والنهب واستعباد الغير، ومن هنا تميزت الفتوحات في عهد الرسول والخلفاء الراشدين بمراعاة الشريعة في معاملة أهل البلاد المفتوحة فكان محمد (ص) يراعي المواثيق والعهود مع أصحابه ، كما أمر أبو بكر أصحابه بألا يقتلوا شيخا أو طفلا او امرأة وألا يخربوا مزرعة ..وفي عهد عمر وضعت أصول العهود والمعاهدات التي راعت حرمة النفس والعرض والمال وحرية العقيدة بشرط الالتزام بدفع الجزية، وغيرها من الشروط التي كانت تقيد الحرب . كان الجيش يتكون من المتطوعة وأحدث عمر بن الخطاب قوانين للجيش فخصه بديوان عرف بديوان الجند تسجل فيه أسماء المقاتلة وتحدد رواتبهم، ومن حسنات عمر بن الخطاب أنه امتنع عن توزيع أراضي الغنيمة على المقاتلين تجنبا لتكوين طبقة إقطاعية تنشغل بالأرض وتتخلى عن نشر الإسلام. لقد كان الخليفة هو القائد الأعلى للجيش ويعلن الحرب ويعقد الصلح ، وهندسة الجيش عادة تكون ميمنة وميسرة وقلب وساقة وكل قبيلة تحارب تحت رايتها تشجيعا لها على القتال بحماسة، وكانت مهمة الشعراء هو التعبئة المعنوية والتحفيز. ولم تكن الخطط الحربية ثابتة إنما تتعدد حسب طبيعة المعركة وخطط الحرب فكان الكر والفر أو الزحف بالصفوف فقد استعملوا الرماح والنبال والسيوف والدروع والخوذات والزرود كوسائل دفاعية..، كما برعوا في أساليب الحصار خاصة في فتوح الشام والعراق. ويتكون الجيش من المشاة والفرسان وقاذفي السهام (الرماة)، فكان لكل عشرة جنود (أمير عشرة) ، ولكل مائة جندي (قائد) ولكل عشرة من القادة (أمير). وفي العهد الأموي بدأ نظام التجنيد الإجباري الذي أصبح نظاما ثابتا في الجيش الإسلامي فضلا عن المتطوعة، وقد تم احداث نظام "الكراديس" في عهد مروان بن محمد والمقصود به تقسيم الجيش إلى فرق وفيالق تحارب مستقلة كوحدة متماسكة على غرار الجيش الروماني. وفي العهد العباسي تشكلت فرق خاصة عرفت باسم "العسكر الخلافي"، مهمتها الدفاع عن الخلافة ومواجهة الأخطار الكبرى في المناطق المضطربة، كما احدث نظام الثغور على الحدود مع دار الحرب..، ويرجع إلى العباسيين الفضل في اشراك الموالي في الجيش الإسلامي فاعتمدوا على الفرس ثم الترك منذ خلافة المعتصم الذي أسس لهم مدينة تسمى سامرا، ومن أهم المدن العسكرية الكوفة والبصرة في العراق والفسطاط بمصر والقيروان بافريقية ومدينة سالم بالأندلس. وفي العصر العباسي الثاني تم اقطاع الأرض للعسكر عوض أداء الرواتب وكان هذا من عوامل ضعف الدولة وتراجعها. ولم تهمل الدولة اعتماد الأسطول البحري الحربي فقد اهتم المسلمون بتأسيسه في خلافة عثمان بن عفان الذي أنشأ ديوانا خاصا لهذا الغرض وأمر ببناء دور الصناعة مستفيدا من خبرة المصريين والشاميين وجلب خشب الأرز من مرتفعات الشام واستخدامها في تأسيس نواة أسطول بحري حربي لأول مرة. وقد استمر تطور هذا الأسطول مع الدولة الأموية والعباسية.

وعموما هذه بعض النظم التي اجتهدت فيها الدولة الإسلامية في مراحلها الأولى إلى عهد الدولة العباسية وتعد انجازا حضاريا رائعا مزج فيها بين المعطيات العربية في مرحلة ما قبل الإسلام ثم انضافت التجربة في عهد قيام الدولة الإسلامية فضلا عن النظم الحضارية الأخرى التي اقتبست من حضارة الفرس والبيزنطيين.

المحاضرة السابعة: الحياة الثقافية في الحضارة العربية الإسلامية

لقد ازدهرت الحياة الثقافية والفكرية والعلمية في ظل الحضارة العربية الإسلامية خصوصا عندما صهرت الانتاجات القديمة والمؤثرات الكلاسيكية الشرقية والغربية مع الانتاج الفكري والحضاري الإسلامي في بوثقة جامعة فنتج عن ذلك نهضة في العلوم والآداب والفنون، وعلم الكلام والفلسفة باعتبارهما يمثلان ذروة الفكر العربي الإسلامي. إذن ما هي أسس ومظاهر النهضة الفكرية ؟

1- أسس النهضة الفكرية في الحضارة العربية الإسلامية:

برزت بوادر تيارات فكرية دينية في عصر الخلفاء الراشدين فاهتمت بأنشطة ثقافية كالتاريخ والآداب والعمارة والفنون، لكن هذه النهضة الفكرية ستبرز بشكل كبير في عهد الدولة العباسية وبلغت أوجها في القرن الرابع والخامس، إذن ما هي أهم معالم وأسس هذه النهضة؟ في العصر الخلفاء الراشدين كان الاهتمام بالعلوم الدينية مثل قراءة القرآن وتفسيره، وبرزت تيارات فقهية وبعض الفرق الدينية تستند في مواقفها إلى القرآن والسنة النبوية، فضلا عن مبدأ الاجتهاد الذي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بن أبي بكر الصديق، وبعض كبار الصحابة ، ثم بدأ الاهتمام بالروايات التاريخية والقصص القديم الذي كان يروى بمسجد المدينة للعبرة والموعظة. وفي العصر الأموي ظهرت بعض الترجمات التي أثرت في فقه الإمام الأوزاعي بالشام الذي يمتح من القانون الروماني، وظهرت اجتهادات الفقيه سعيد بن المسيب، وازدهرت أراء الفرق المذهبية وعرف الشعر صحوة كبيرة ، ثم تأثرت مجالات العمارة والفنون بالمؤثرات البيزنطية خصوصا في مجال العمارة الحربية. وفي العراق ظهرت حركة فكرية استفادت من الثقافة الفارسية، فأغنى ذلك النحو العربي والقصص التاريخي. دون أن ننسى تأصيل أفكار الأحزاب المعارضة كالشيعة والخوارج في هذه الفترة التاريخية، وفي مصر اشتهرت مدرسة الفسطاط بطابعها الديني والدنيوي، فقد استفادت من مدرسة الشام ومدرسة العراق،

ويرى محمود اسماعيل أن البدايات الحقيقية للنهضة الفكرية ظهرت في العصر العباسي الأول، فمع العباسيين بدأ الاستقرار السياسي والاجتماعي والتنظيم الذي يساعد على بروز النهضة الفكرية ومن أهم أسباب هذه الازدهار : 1 - الاستقرار السياسي والاجتماعي.2- تنافس الخلفاء والأمراء في مجال العلم والفكر.3 - حض الإسلام على التسامح والعلم وتكريم أهله.4 - الرخاء الاقتصادي والتجانس الاجتماعي الذي ساهم في تكوين طبقة وسطى مبدعة.5- اختراع صناعة الورق وانتشاره في دار الإسلام وظهور حرفة الوراقة والمكتبات .6 - حركة الترجمة التي ظهرت في عهد العباسيين التي بدأت مع هارون الرشيد والمامون.7- الرحلة في طلب العلم،8 - فتح المجال لأبناء الطبقات الدنيا للتعلم والعلم ذلك ما جعل أغلب العلماء في أصلهم حرفيين ينتمون إلى طبقات سفلى في المجتمع. 9 - عملية تصنيف العلوم.

ثانيا: مظاهر النهضة في العلوم والآداب والفنون:

1- العلوم الدينية:

كانت الحاجة إلى هذه العلوم من أجل خدمة التشريع الإسلامي، فقد ظهر علم التفسير الذي يهتم بتفسير بآيات القرآن الكريم وتوضيح معانيها، خصوصا بالنسبة للشعوب التي اعتنقت الإسلام ولا تعرف اللغة العربية وقد تميز التفسير بمنهجين المنهج النقلي والمنهج العقلي وهي مناهج تحتاج إلى إلمام وفهم ودراية من طرف كل من يريد القيام بعملية التفسير، خصوصا التفسير العقلي الذي يحتاج إلى شرح الغوامض والإعراب ومعرفة أسباب النزول، ويعتبر الرازي من أبرز رواد هذا التفسير وهو يخالف

منهج الطبري والسيوطي. ثم في العصور المتأخرة برزت محاولات التفسير العلمي للقرآن. وهناك علم القراءات يهتم بكيفية قراءة القرآن وقد قسمت إلى عدد من القراءات وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وقراءة ورش وغيرها وهناك من وقف عند سبع قراءات فقط. وقد ظهر علم الحديث لأغراض علمية خدمة للتشريع بتسهيل استنباط الأحكام. أما علم الفقه فهو يتناول التشريع وقد استفاد من علم التفسير والحديث كما ظهرت المذاهب الأربعة وهي مذهب مالك، ومذهب أبو حنيفة، ومذهب الشافعي، وأخيرا مذهب ابن حنبل. إضافة إلى مذاهب أخرى كالمذهب الظاهري الذي لم ينتشر بشكل كبير. ثم نجد الشيعة يعتبرون أئمتهم أهل الفقه خاصة إمامهم جعفر الصادق وابن حيون المغربي، والكليني . إضافة إلى علم الكلام الذي انتشر في ذلك الوقت.

2- علوم اللغة والأدب:

اجتهد علماء اللغة وبذلوا جهودا كبيرة في جمع الألفاظ العربية ووضعوا لها قواعد نحوية وصرفية فاعتمدوا في ذلك على القرآن الكريم والشعر العربي والتواصل مع القبائل العربية في الأمصار، وقد اعتمدوا المنهج النقدي في وضع اصول هذا العلم ومن اهم الشخصيات العلمية في هذا المجال الخليل ابن احمد وسيبويه والأصمعي. وقد ظهرت ثلاث مدارس للغة العربية ، وهي مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ـومدرسة بغداد. وازدهرت الدراسات اللغوية على يد الجرجاني وابن سيده وغيرهم وتم انجاز المعاجم اللغوية وقنن الشعر ووضعت له قواعد لعروضه بفضل الخليل بن احمد، وقد ازدهر الشعر وظهر رواد له من الشعراء البارزين أبو تمام وابو نواس وشعراء الأندلس، وبرز المعري كرائد للشعر الفلسفي وظهرت أشعار المتصوفة، لكن الشعر تدهور مع تدهور الحضارة العربية الإسلامية. وقد ازدهر النثر الأدبي والفني وظهر أدب الفروسية الذي يتغنى بالقيم والفضائل والتضحية والجهاد، ولم يشهد العرب المسرح.

3- العمارة والفنون:

الفن هو تعبير عن الوجدان والذوق والعقل والمجتمع في آن واحد فالفن مزيج من الذاتية والموضوعية والفن رسالة اجتماعية والإنسان فنان بطبعه اين وجد ومهمة الفنان ليت التقليد والمحاكاة دائما إنما هناك الإبداع والابتكار، والفن يرتقي بالواقع ويعبر عن المستوى الحضاري الذي بلغته هذه الامة أو تلك، فالمسلمون انجزوا فنوانا رغم المحاذير الدينية التي تحيط بهذا الحقل .ومن ثمة سقطت مقولة المستشرقين التي اتهمت الحضارة العربية الإسلامية بتغييبها للفن. ومن أهم خصائص الفن الإسلامي التي تميزه نجد روح التسامح التي جعلته ينفتح على المؤثرات الخارجية الساسانية والهللينية والقبطية والهندية والصينية..، كما تفرد الفن الإسلامي باستخدام الخط العربي بكل اشكاله، واتخذ الفن طابعا علميا مكرسا لخدمة الواقع كما اختص باستخدام مميز الأولوان للجمع بين المتناقضات والمتنافرات، فضلا عن البراعة في الزخرفة فضلا عن ظاهرة الطبقية التي تميزه فالوسط الاجتماعي محدد لشكل الابداع الفني.

4- العلوم العقلية:

العلوم العقلية سماها ابن خلدون علوم الأوائل بحكم أنها ظهرت في العالم الإسلامي بعد ترجمة التراث الأجنبي القديم ولقد تقدمت هذه العلوم عند العرب بعد تصحيح الأخطاء والابداع والابتكار فيها. فثمة علوم متعددة منها العلوم الرياضية التي تشمل الحساب والجبر والهندسة والفلك وعلم الجغرافيا وعلم التاريخ وعلم الطب في مجال الجراحة والعلاج بالأعشاب والكي بالنار وفصد الدم وطب العيون

وازدهرت الصيدلة فظهرت العقاقير الطبية لصاحبها ابن البيطار صاحب كتاب الجامع الكبير، وانشأ المسلمون البيمارستانات لعلاج المرضى من أشهرها الذي أسسه عضد الدولة البويهي، ومستشفى العيون من طرف السلطان قلاوون بمصر. واهتم المسلمون بعلوم الطبيعة كعلم الكيمياء الذي برز فيه جابر ابن حيان وقد اسهم الكيميائيون المسلمون في معرفة خصائص المعادن وصهرها وتكوين سبائك منها بهدف الصناعة. كما ازدهر علم الفيزياء حيث استفادوا من كتب اليونان ، وبرع المسلمون في علم البصريات وقد صنف البيروني في شتى المعارف. وألف المفكرون المسلمون في مجال الاقتصاد والحيوان والطيور والفلاحة. وعموما فالفكر الإسلامي كان موسوعيا تناول العلوم الدينية والدنيوية ولهذا تفوق علماء الإسلام على غيرهم من علماء الحضارات القديمة في مصر والشرق الأدنى .حيث جمع المسلمون بين العلوم النظري والتطبيق العملي وهذا ما أعطى للعلم طابعه الخاص.

4 علم الكلام

يصعب التفصيل في هذا الموضوع فهو يحتاج إلى محاضرة بعينها ومن ثم فسنعتمد على ذكر الاسس الاساسية لعلم الكلام والجهات التي اهتمت به فهناك:

*المعتزلة : فقد المعتزلة في البصرة كفرقة كلامية على يد واصل بن عطاء، وهناك أراء مختلفة حول الاسم هل مشتق من الاعتزال ام هو موقف سياسي وفكري يميزهم عن باقي الجماعات الاخرى ، وعموما فقد تأكد ان هذا المذهب له اتباعه واسسه التي يقوم عليها. ومذهب الاعتزال بأصوله وفي بعده السياسي والاجتماعي، يتفق مع هدف الموالي في المطالبة بتطبيق الشريعة التي تدعوا إلى العدل والمساواة، وعن الأصول الخمسة التي استند عليها الاعتزال هي . التوحيد- والعدل- والقول بالوعد والوعيد- والقول بالمنزلة بين المنزلتين- والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعموما فقد تميز المعتزلة بنزعتهم العقلانية والتفاعل بين الأصول الإسلامية والمؤثرات الوافدة، كما انهم قالوا بالسببية في المجال العلمي وفي الطبيعة جعلوا العقل مصدرا لمعرفة الوجود المادي، لكن المناخ السياسي والاجتماعي لم يساعدهم على تطبيق افكارهم بشكل جيد.

*الاشاعرة: ظهروا في القرن الثالث الهجري وما تلاه من القرون إلى غاية القرن الخامس الهجري حيث سيطر الأتراك وهيمنة النظام الاقطاعي، فتم احداث هذا التيار الفكري السلفي المحافظ الذي وضع أسسه أبو الحسن الأشعري وهذا الصراع في الافكار كان تعبيرا عن الصراع بين علماء الكلام، فقد كان النقل هو الأساس عند الاشاعرة فمصدرهم هو الكتاب والسنة والأثور عن السلف الصالح. ومن اهم أراء ابي الحسن الاشعري في القضايا التي تطرق لها المعتزلة حيث خالفوهم في تفسيراتهم فيما يتعلق بنظرتهم إلى التوحيد والعدل والوعد والوعيد ورؤية الله في الآخرة. ومهما يكن فالثابت عند الأشاعرة بعد جهودهم المحمودة ،أن استفادوا من المذهب المعتزلي من حيث التسلح بالمنهج العقلاني فقد قال ابن خلدون كان مذهب الاعتزال سببا في انتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد، وقام بذلك الشيخ أبو موسى الأشعري وعلى نهجه سار الباقلاني والغزالي. وعموما فقد قال الأشاعرة بالجبرية رغم ان موقفهم كما يزعمون انه وسط بين المعتزلة القائلين بحرية الإرادة والاختيار وبين القائلين بالجبرية. وعموما هذا المذهب كان يدعم الخلافة العباسية السنية.

5 الفلسفة الإسلامية

العرب لم يكونوا يعرفون الفلسفة فهي لم تكن من طبيعتهم التي كانت تميل للحكمة حيث عرف العرب المسلمون الفلسفة عند احتكاكهم واختلاطهم باليونانيين والفرس والهنود والروم ونقلوا كتبهم الفلسفية إلى دار الإسلام وقد مرت الفلسفة الإسلامية بمراحل ثلاثة :

المرحلة الأولى: نقل القليل من الفلسفة من هنا وهناك كالذي يحكي عن خالد بن يزيد الأموي.

المرحلة الثانية: النقل المنظم من الكتب الفلسفية كما حدث في بيت الحكمة في عهد الامويين وبعده.

المرحلة الثالثة: نضجت فيه هذه العلوم وبدا فلاسفة الإسلام يفهمونها ويعلقون عليها ويزيدون فيها وهذا يبين حجم التطور الذي حصل على مستوى العقل العربي الإسلامي في تعامله مع كتب الفلسفة. ظهرت شخصيات فلسفية فذة أغنت الحقل الفلسفي الإسلامي وخلفوا مصنفات كثيرة نذكر منهم الكندي والفارابي والغزالي وابن رشد وإخوان الصفا

يتضح من خلال تتبع بعض المعطيات المرتبطة بالحياة الثقافية والفكرية في الحضارة الإسلامية أنها تتميز بالتنوع والغنى وانها نهلت من البعد الروحي والدين الإسلامي الذي اعطاها القدرة على التجديد والابتكار فضلا عن مبدا التسامح الذي جعل الثقافة الإسلامية تنهل من مختلف التيارات والشعوب والامم ، وهما ما ساعد الحضارة الإسلامية على التميز والعطاء بل واكتساح دار الحرب، حيث ظلت الحضارة العربية الإسلامية لقرون متربعة على عرش الحضارة العالمية، ومن ثم يمكن القول أن الانتاج الفكري الغزيز والترجمة التي اهتم بها المسلمون كانت سببا في احياء أروبا والمساهمة في نهضتها.

خلاصة عامة يبدو من خلال المحاضرات التي قدمناها والمتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية والتي تنوعت بين التعريف بالمصطلحات وتوضيح اهمية الحضارة العربية الإسلامية وتفوقها على الحضارات العالمية في مراحل ازدهارها وقوته ، وكيف كان العرب والمسلمون حاملي المشعل في كافة المجالات الروحية والعلمية فاثروا في الشعوب والبلدان التي فتحوها بل إن تأثير حضارتهم دخل إلى دار الحرب، لقد ساعدت قوة الدولة الإسلامية خلال العصر الوسيط على توسيع مجال نفوذها وتصل إلى تخوم الصين شرقا والمحيط الأطلسي والأندلس غربا، واستطاعت هذه الحضارة ان تبعث الحياة من جديد في الموروث الحضاري الذي خلفه الإغريق وقدمته عن طريق الترجمة غضا طريا إلى رواد عصر النهضة الأروبية حيث اعترف المستشرقون بفضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا وهذا ما صرحت به زغريد هونكه وهي المستشرقة الألمانية التي الفت كتابا ثمينا عنونته بشمس العرب تسطع على الغرب، فضلا عن مستشرقين آخرين الذين انصفوا الحضارة العربية الإسلامية وعددوا مزاياها، وشهدوا لها بالتطور والابداع والابتكار وفي نفس الوقت الجمع بين الجانب الروحي والمادي بين النظري والتطبيقي، كما اهتمت هذه الحضارة بالحياة الثقافية وتناولت مختلف العلوم العقلية والنقلية وعلم الكلام والفلسفة إلى غير ذلك من العلوم . وعموما لقد حاولنا قدر المستطاع توضيح أهمية هذه الحضارة الانسانية ودورها في الحضارة العالمية في فترات تاريخية كان العالم يعيش عصور الظلام. لكن مع الأسف اشعاع الحضارة العربية الإسلامية تراجع بشكل كبير منذ عصر النهضة الأوربية حيث انهارت الدول وانهارت الاسس التي انبنت عليها قوة هذه الحضارة خصوصا على المستوى المادي وتراجعت العلوم العقلية ودخلنا في خانة التكرار واجترار القديم والاستنساخ والتقليد. رغم إن الإسلام لازال يحمل شرارة البعد الروحي والتسامح إلا أن مجال العالم الإسلامي عرف انتكاسات اقتصادية وعسكرية وفكرية

وعلمية جعلته يدخل مرحلة الانحطاط والتدهور، ومع ذلك فهذه الحضارة تمتلك بواعث نهضتها إن هي أخذت بشروط النهضة على كافة المستويات والأصعدة.

ملحق: